الفصل الخامس

الفنون الإسلامية اليدوية المختلفة

- فنون الكتابة وزخارفها .
- أنواع الخط العربي .
- أشكال الخط العربي .
- الفنون المختلفة التي رافقت تطور الكتابة العربية .
(الزخارف - التذهيب - التجليد)
- الصناعات المختلفة عند العرب قبل الإسلام .
- الفن الإسلامي في صناعة النسيج .
- صناعة الخزف والفخار الإسلامي .
- الصناعات الخشبية الإسلامية .
- الفنون الإسلامية في العاج والعظم .
- الفنون الإسلامية في الزجاج والبلور .
- الفنون الإسلامية في الحفر على الحجر والجص .
- الفنون الإسلامية على الصناعات المعدنية .
- الفسيفساء .
- مميزات الفن الإسلامي .
- معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب .

١ - الأندلس ٢ - صقلية ٣ - الحروب الصليبية ٤ - الترجمة .

- أثر الحضارة الإسلامية على الغرب .

- فنون الكتابة وزخارفها:

كان العرب يكتبون على نطاق ضيق قبل الإسلام بنوع واحد من الخط هو الخط النبطي الذي يخلو من ضوابط الحركات والنقاط التي تميز الحروف بعضها عن بعض، وقد عثر المهتمون بالآثار العربية على نقوش مكتوبة قبل الإسلام، تبين نوع الخط العربي الذي كان يكتبه العرب قبل الإسلام مثل: نقش النمارة الذي عُثر عليه في جبل لبنان مكتوباً بأحرف نبطية سنة ٣٢٨م، ونقش زبيد الذي عثر عليه في شمال الشام غرب نهر الفرات قرب حلب ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢م مكتوباً بأحرف نبطية، ونقش حران في الشمال الغربي من بلاد الشام يرجع تاريخة إلى سنة ٥٨م مكتوباً بأحرف نبطية، ونقش أم الجمال الأول والثاني ترجع كتابتهما إلى القرن السادس الميلادي مكتوبين بحروف نبطية[١].

وعن أصل الخط العربي هناك روايات كثيرة تحدثت عنه، منها أن أصله توقيفي من عهد آدم عليه السلام وأبنائه[٢]، إذ تعلمها آدم عليه السلام من ربه، يقول القلقشندي في صبح الأعشى: «قيل: إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه وذلك قبل موته بثلاثمائة عام، فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابتهم، ثم بعد ذلك انتقلت إلى أخنوخ وهو سيدنا إدريس عليه السلام». واستدل المؤيدون لهذه النظرية بقوله تعالى: ﴿وعلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثمَّ عَرَضَهُم على الملائكةِ فقالَ أنبِئوُني بأسماءِ هؤلاءِ إن كنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

---

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٣٦ وما بعدها.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ج٣/ ٨.
(٣) سورة البقرة/ ٣١.

وهناك نظرية أخرى تقول: إن الخط العربي جاء من الحيرة في العراق إلى الجزيرة العربية وهي النظرية الحيرية، وأخرى تقول: إن الخط العربي جاء إلى الجزيرة العربية من عرب الشمال وهم الأنباط، واستدلوا على ذلك بما وجدوه من خطوط للحروف العربية في أم الجمال والأردن وحران، ومنها أن الخط العربي انتقل من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية بما يعرف بالخط المسند، ثم انتقل إلى العراق والشام، ثم عاد ثانية إلى الحجاز عن طريق التجار الذين كانوا يترددون إلى بلاد الشام والعراق، ورواية تقول: إن أول من وضع الخط العربي هم ستة إخوة من أفراد قبيلة عربية سكنت الحجاز وجعلوا الحروف العربية من أسمائهم وهم أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثم زيد على هذه الحروف تخذ، ضظغ، وهي ما أطلقوا عليها الروادف.

وبعد الإسلام انتشرت الكتابة والقراءة واتسع استخدام الحروف العربية كثيراً، لتدوين القرآن الكريم وحفظه وتلاوته، وكان العرب يكتبون الحروف دون حركات ونقاط، حتى ظهر اللحن في تلاوة القرآن الكريم، فوضع أبو الأسود الدؤلي ضوابط الحركات، ثم وضع تلامذته يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم النقاط فوق الحروف، فتميزت بعضها عن بعض، ثم مر الخط العربي بمراحل تحسينية لكثرة الاستخدام، فامتلأت الأسواق والبيوت والمكتبات بنسخ القرآن الكريم والمخطوطات الإسلامية بمختلف أنواع العلوم، وتزينت جدران المساجد والقصور والحصون بآيات القرآن الكريم، وأصبح الخط العربي كالأزهار الجميلة كلما انتقلت إلى نوع من أنواعه رأيت جمالاً جديداً، وتبارى النساخ في إتقان الحروف لمصالحهم المادية في زيادة الأجور، ومما ساعد على تنوع الخط العربي وظهور أشكاله المختلفة، سهولة التواء حروفه ومدها طولاً وعرضاً وإدخالها

ببعضها البعض حسبما يراه النساخ لزيادة الجمال دون أن تفقد هذه الحروف خاصيتها، ومن أهم أنواع الخط العربي:

١- **الخط النبطي:** وهو أصل الخط العربي الذي كتبه العرب قبل الإسلام دون حركات ونقاط، وحروفه ليست مستقيمة أو منبسطة[١]. كما استخدمه المسلمون في فجر الإسلام، انظر الأشكال: ١، ٢، ٣ في الصفحة٤١١.

٢- **خط النسخ:** استخدمه النساخ في المراسلات والكتب المطبوعة ونسخ القرآن الكريم لسهولة استخدامه وسرعة كتابته؛ لأنه يخلو من التعقيد والصنعة، وتأتي كتابة حروفه بشكل واضح، وحروفه مستقلة وقليلة الزوايا، ونقاطه واضحة ومنفصلة عن بعضها البعض[٢]، انظر الأشكال: ٤، ٥، ٦ في الصفحة ٤١١-٤١٢.

٣- **خط الرقعة:** يشبه خط النسخ في وضوحه وبساطته وعدم تعقيد حروفه، إلا أنه يختلف عنه في اختصار النقاط إلى شرطة صغيرة، واختصار أسنان بعض الحروف مثل: حرف السين والشين للسرعة في الكتابة، وأول من وضع قواعده أبو بكر ممتاز مصطفى أفندي سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٢م، انظر الشكل: ٧، الشكل ٨ في الصفحة ٤١٢.

٤- **الخط الكوفي:** نسبة إلى مدينة الكوفة؛ لأنه ظهر فيها وهو خط جميل، فيه صنعة هندسية، تتداخل حروفه مع بعضها البعض لدرجة أنه يصعب قراءته إلاّ بعد تمعن وطول نظر، وهو على أنواع مختلفة فمنه الكوفي المورق والمشجر يتصل بأطراف حروفه أغصان أو أوراق الأشجار بما يشبه الفروع، ومنه

---

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٣٦.

(٢) محمود عباس حمودة. دراسات في علم الكتابه/ ٩٢ وما بعدها.
يوسف غلام، الفن في الخط العربي/ ٣٣.

الكوفي المستطيل الذي تتشابك حروفه على شكل ضفائر، ومنه الكوفي المربع في الكتابات على الأضرحة، وهو ذو أشكال هندسية، ومربعات أو مثلثات أو مسدسات أو دوائر أو مثمنات، انظر الأشكال: ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، في الصفحة ٤١٣-٤١٤ .

٥- **خط الثلث:** فيه قليل من الصنعة أقل مما هي في الخط الكوفي، استخدمه الكُتَّاب في عناوين المخطوطات أو الفقرات الصغيرة على الأضرحة أو واجهات المساجد أو القصور على المباني العمرانية، وهو متطور عن خط النسخ ويختلف عنه بأن خط الثلث أكبر حجماً من خط النسخ؛ لذلك استخدمه الكُتَّاب في كتابة العناوين واللافتات وعلى جدران المساجد[١] وأول من ابتكره الوزير محمد بن مقلة[٢]، انظر الأشكال: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ في الصفحة رقم ٤١٤-٤١٦ .

٦- **الخط الديواني:** استخدمه العثمايون في الدواوين الإسلامية على الصكوك والعملات والشهادات وأطراف المساجد، وكتبت به الأوامر والفرمانات، وعرف باسم الهمايوني، وأول من وضع قواعده إبراهيم منيف سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح، وفيه ميلان لبعض الحروف لزيادة الجمال على نسق واحد في أواخر الكلمات، انظر الأشكال: ٢٨، ٢٩، ٣٠ في الصفحة ٤١٧ .

٧- **الخط المغربي:** سمي بذلك لانتشاره في المغرب، يكثر فيه التدوير، ونقطة الفاء فيه تحت الحرف، ونقطة فوق الحرف للقاف[٣]، انظر الشكل: ٣١ في الصفحة ٤١٨ .

---

(١) يوسف غلام. الفن في الخط العربي/ ٥٣ .

(٢) عبدالله بن عبده فتيني، دراسة مقارنة للأساليب المتبعة في كتابة الخط العربي، بحث/ عالم الكتب ابريل/ ٢٠٠١م.

(٣) يوسف غلام، الفن في الخط العربي/ ٤٠ .

٨- الخط **الأندلسي**: استخدمه النساخ في الأندلس، وهو يشبه الخط المغربي، حروفه آخر الكلمات بارزة ومستديره نحو اليسار أو إلى أسفل بحذف جزء من حرف السين و الشين والصاد والضاد وما يشبهها من الحروف الأخرى، انظر الاشكال٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥ في الصفحة ٤١٨-٤١٩

٩- **الخط السوداني**: انتشر في السودان، ويمتاز بوجود زوايا بين حروفه، انظر الشكل: ٣٦صفحة ٤١٩ .

١٠- **الخط الفارسي**: وهو ما يسميه البعض خط النستليق، أو خط التعليق، يشبه خط النسخ، انتشرت كتابته عند الأعاجم من الفرس والأفغان والهنود، وخاصة في بلاد فارس؛ فسمي لذلك، ويكثر فيه الانحناء، وحروفه ليست متساوية[1]، وقد نشأ هذا الخط في بلاد فارس في أوائل القرن الثالث الهجري، انظر الشكل: ٣٧، ٣٨، ٣٩ في الصفحة ٤٢٠ .

١١- **خط الإجازة**: مشتق من خط النسخ والثلث، انتشرت الكتابة به في عهد الخليفة المأمون العباسي في عناوين الكتب والبطاقات الشخصية والإجازات العلمية، ويمتاز بتقويس حروفه على شكل جميل، انظر الأشكال: ٤٠، ٤١، ٤٢ في الصفحة ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

١٢- **الخط القيرواني**: ظهر في القرن الأول الهجري في القيروان بإفريقية، يمتاز باستطالة حروفه وميلانها نحو اليمين وآخر حروفه مستديرة، أنظر شكل: ٤٣، ٤٤ في الصفحة ٤٢٢ .

---

(١) يوسف غلام الفن في الخط العربي/ ٣٩.

١٣- **خط الطغراء:** أشكاله جميله لأنه يتخذ من الأشكال المختلفه مجالاً للكتابة مثل شكل طائر أو إبريق أو توقيعات معينة، حروفه متشابكة فيصعب تقليده انظر الشكل: ٤٥ في الصفحة ٤٢٢ .

١٤- **خط الإختزال:** وهو ما يستخدم في اختصار الكلمات عند السرعة في الكتابة خلف الأساتذه أو الشيوخ في كتابة حروف معينة لتدل على كلمات أو فقرات خوفاً من أن تفوت الناسخ كلمات أو عبارات واسعة أثناء الكتابة.

١٥- **خط التاج:** وسمي بذلك لأنه يشبه التاج، وحروفه ملتوية ومتداخلة قليلاً مع بعضها البعض، انظر الشكل: ٤٦ في الصفحة ٤٢٢ .

١٦- **الخط الريحاني:** حروفه متداخلة مع بعضها البعض، تشبه أعواد الريحان فسمي لذلك.

١٧- **خط الطومار:** نسبة إلى قلم الطومار الذي كان مستخدماً في الكتابة على اللوحات العريضة، وهو ما يستخدم في وقتنا الحاضر على لوحات كبيرة مثل: الأبواب أو العناوين البارزة، انظر الشكل: ٤٧، ٤٨، في الصفحة ٤٢٣-٤٢٤ .

١٨- **خط السياقت التركي:** وهو ما استخدمه العثمانيون في مراسلاتهم السرية، ويتميز بنصوصه المغلقة التي تستعصي قراءتها إلا عند المتخصصين به للمحافظه على سرية المراسلات، انظر الشكل: ٤٩ في الصفحة ٤٢٥ .

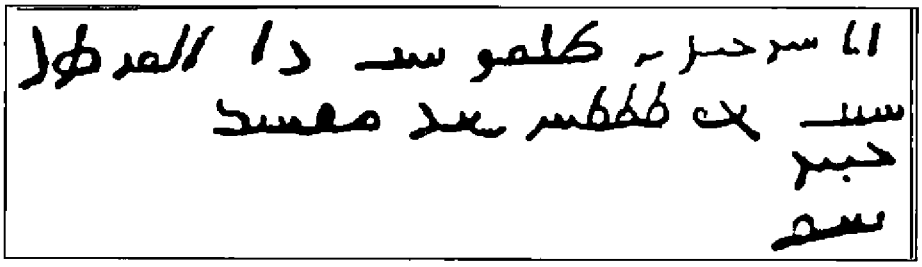

شكل (١)
خط نبطي قبل الإسلام

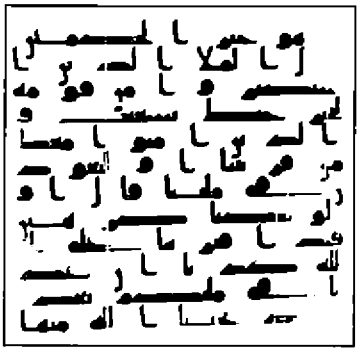

شكل (٢)
خط نبطي مطور بعد الإسلام قبل النقاط والحركات

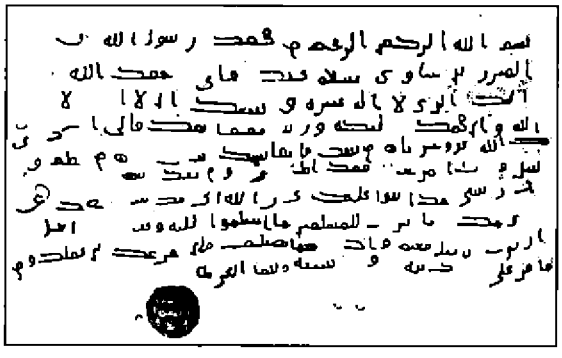

شكل (٣)
خط نبطي مستخدم في فجر الإسلام، ويمثل رسالة النبي محمد ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين يدعوه فيها إلى الإسلام، ويظهر أسفل الرسالة على جهة اليسار خاتمه ﷺ

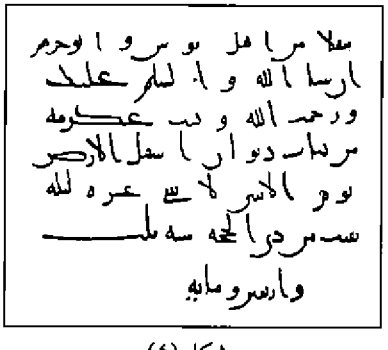

شكل (٤)
خط نسخ متطور عن الخط النبطي

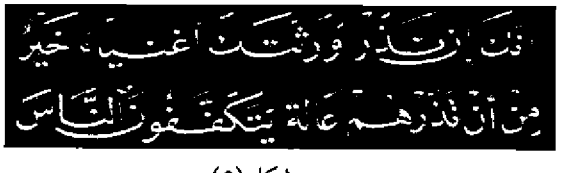

شكل (٥)
خط نسخ متطور

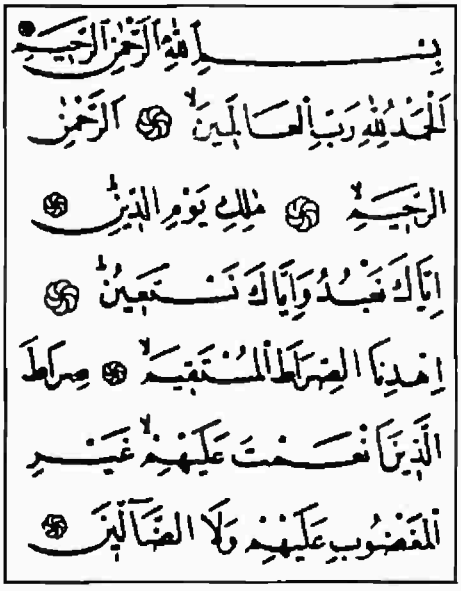

شكل (٦)
خط نسخ متطور

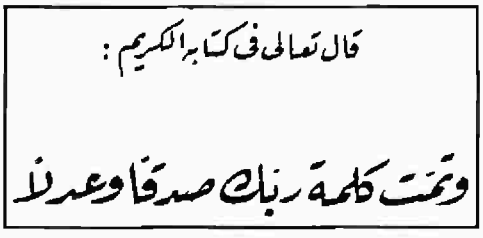

شكل (٧)
خط الرقعة

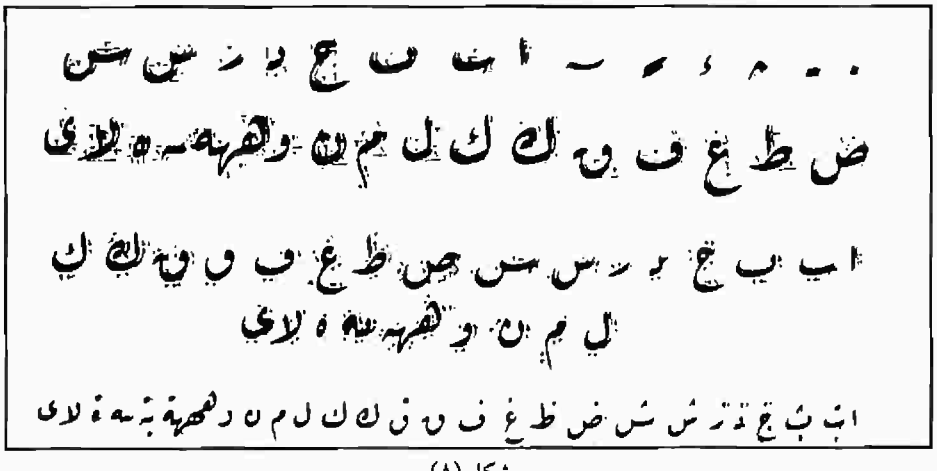

شكل (٨)
خط الرقعة

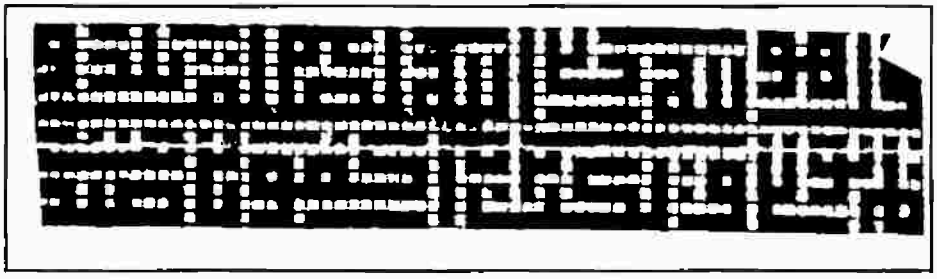

شكل (٩)
خط كوفي مستطيل

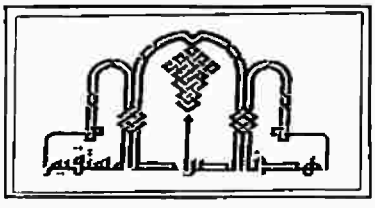

شكل (١٠)
خط كوفي على شكل أقواس

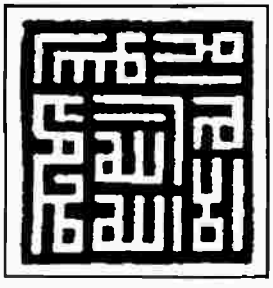

شكل (١١)

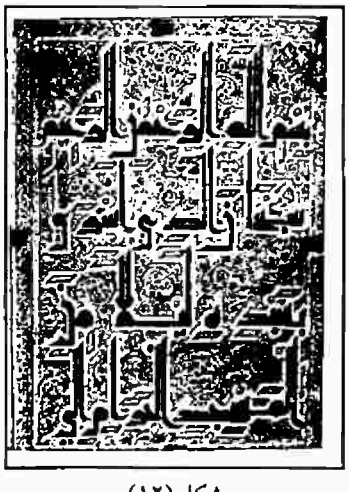

شكل (١٢)

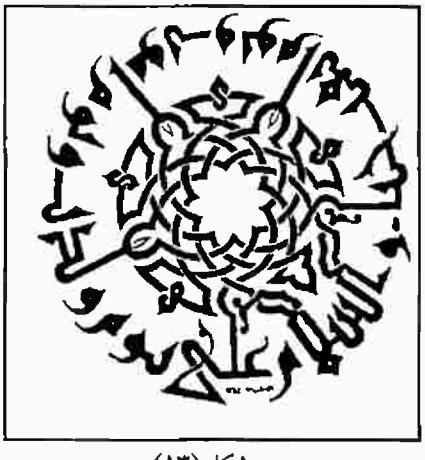

شكل (١٣)
خط كوفي دائري

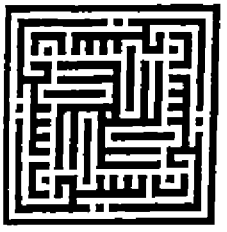

شكل (١٤)
خط كوفي مربع

شكل (١٥)
خط كوفي مستطيل

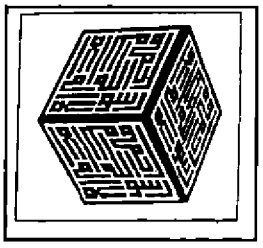

شكل (١٦)
خط كوفي مربع

شكل (١٧) خط كوفي مزهر

شكل (١٨)
خط كوفي ذي أرضية نباتية

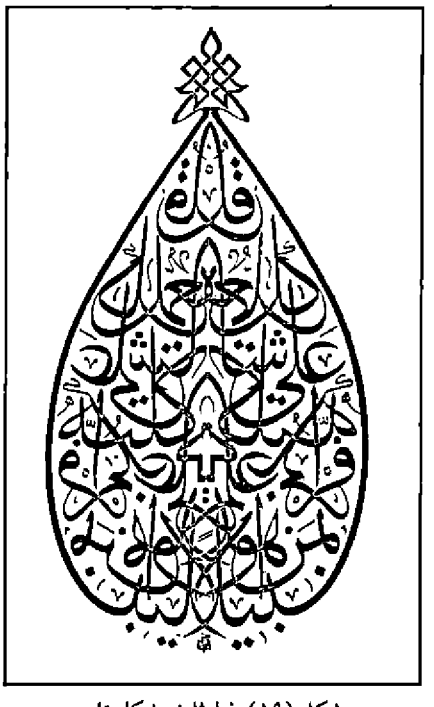

شكل (١٩) خط ثلث بشكل تاج

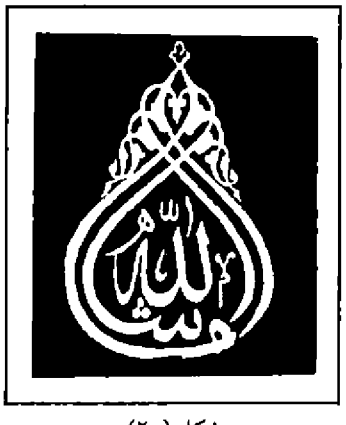

شكل (٢٠)
خط ثلث بشكل تاج

شكل (٢١)

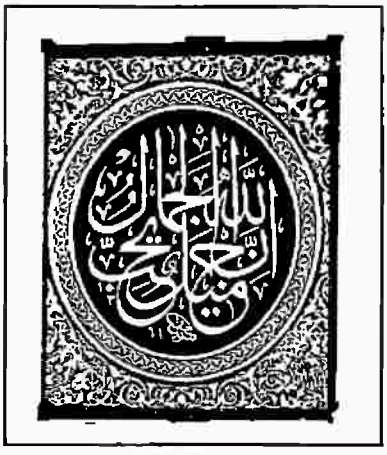

شكل (٢٢)

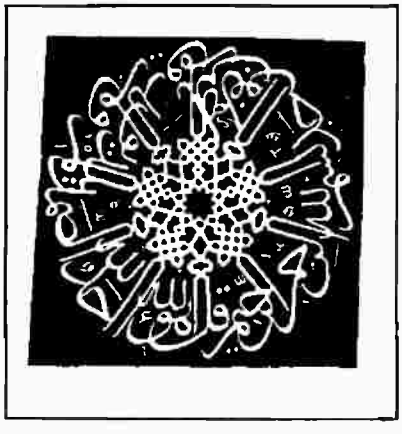

شكل (٢٣)

شكل (٢٥)
خط ثلث

شكل (٢٤)
خط ثلث مستطيل

شكل (٢٦)
زخرفة خط ثلث

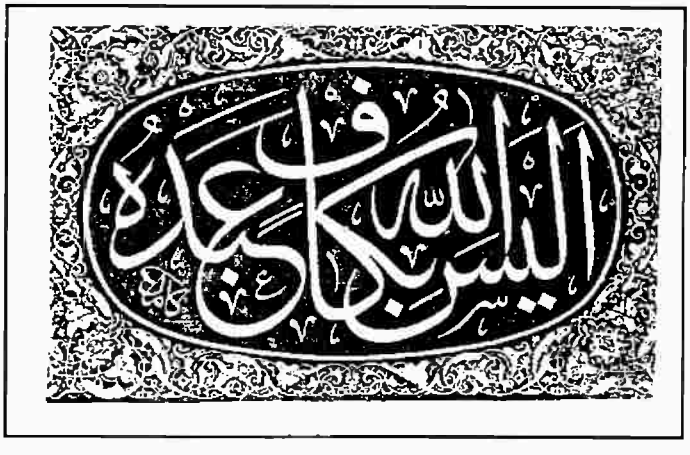

شكل (٢٧)
زخرفة بخط الثلث

شكل (٢٨)
خط ديواني

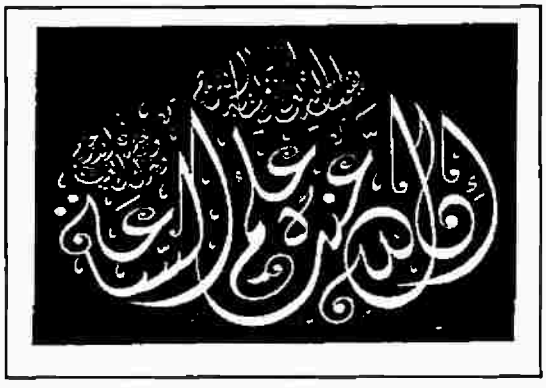

شكل (٢٩)
خط ديواني

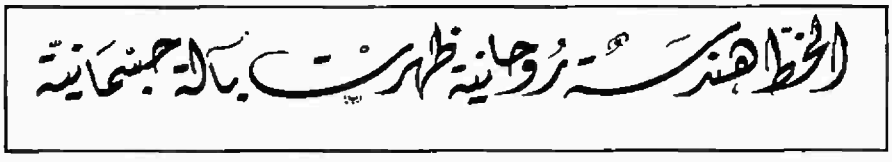

شكل (٣٠)
خط ديواني

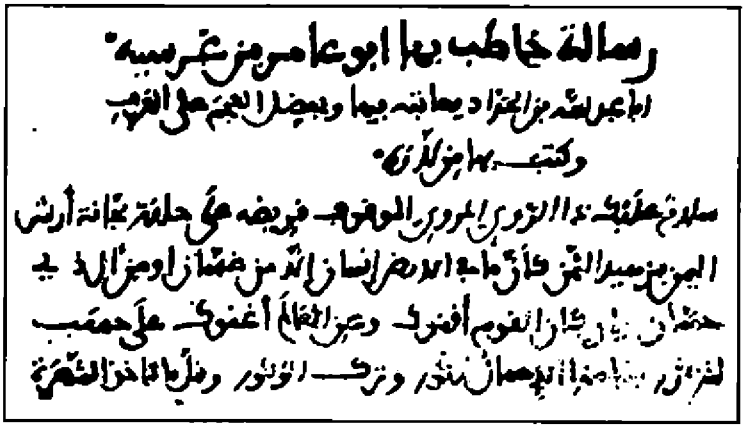

شكل (٣١)
الخط المغربي

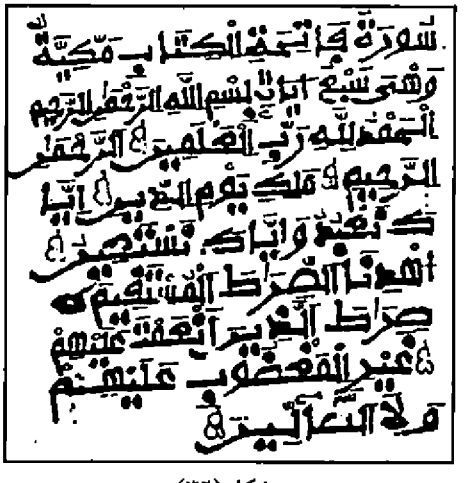

شكل (٣٢)
خط مغربي أندلسي

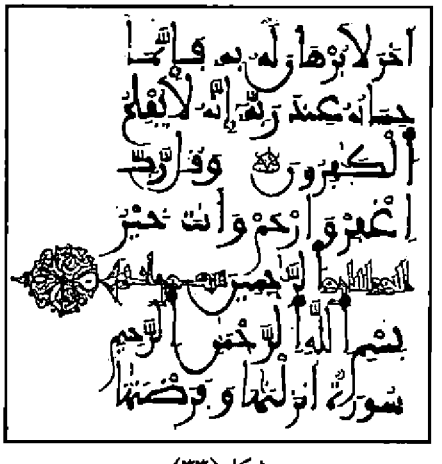

شكل (٣٣)
خط مغربي أندلسي

شكل (٣٤) خط مغربي أندلسي

شكل (٣٥) خط مغربي أندلسي

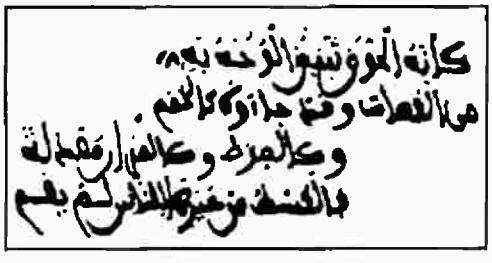

شكل (٣٦)
الخط السوداني

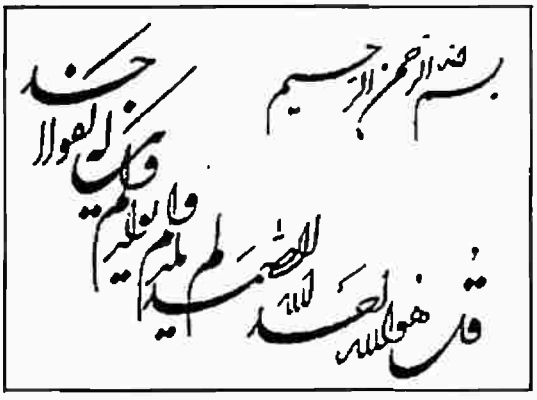

شكل (٣٧) الخط الفارسي (النستليق)

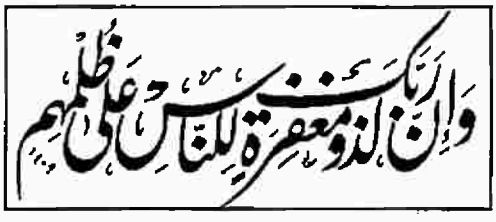

شكل (٣٨) خط فارسي

شكل (٤٠) خط الإجازة

شكل (٣٩)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

شكل (٤١) خط الإجازة

شكل (٤٢) خط الإجازة

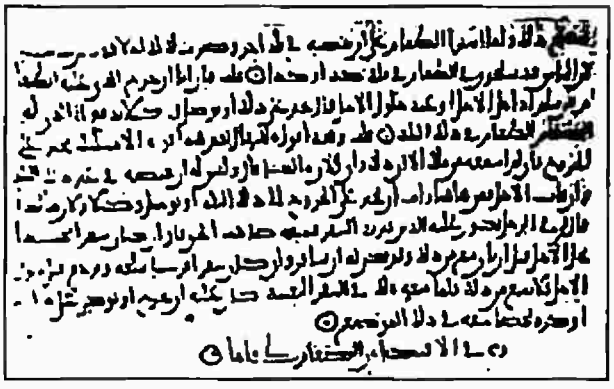

شكل (٤٣) الخط القيرواني

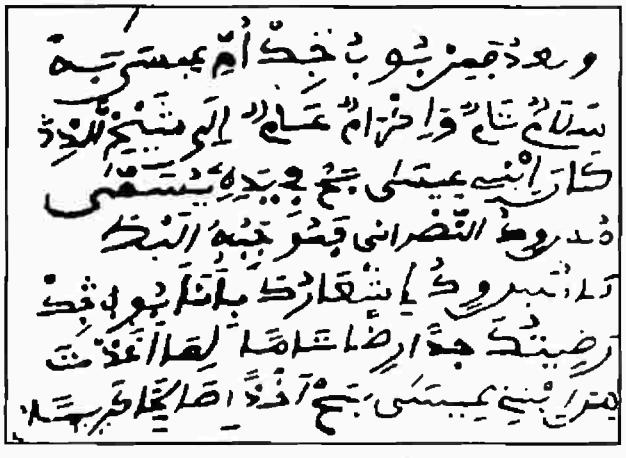

شكل (٤٤) خط قيرواني

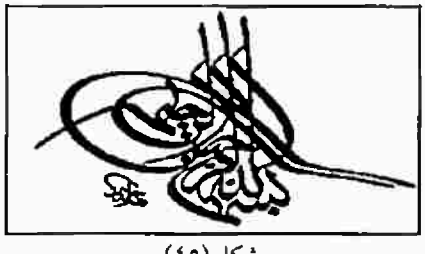

شكل (٤٥)
خط الطغراء

شكل (٤٦) خط التاج

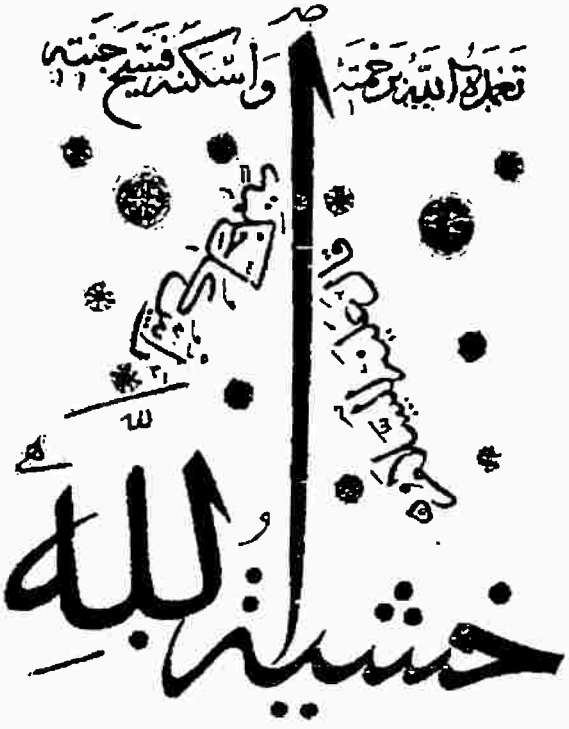

شكل (٤٧)
خط الطومار

شكل (٤٨)

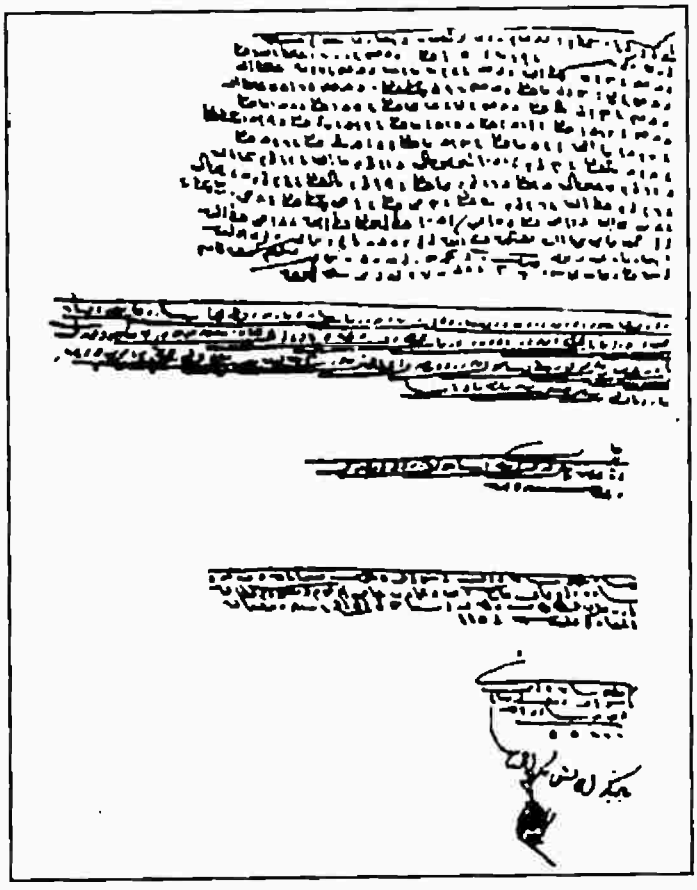

شكل (٤٩)

خط السياقت التركي

الفنون المختلفة التي رافقت تطور الكتابة العربية
«الزخارف، التذهيب، التجليد»

الزخارف:

استغل الكُتَّاب والنُسَّاخ انتشار الكتابة في المخطوطات الإسلامية وأطراف المباني المختلفة وجوانب الصناعات المتعددة، استغلوا ذلك في إظهار مواهبهم الفنية في زخرفة جوانب الخط بأشكال نباتية وحيوانية وهندسية وفي محاكاة الطبيعة للأشجار المحببة عند العرب مثل: النخيل وأوراق العنب وبعض الزهور، أو أشكال نجوم متعددة الأضلاع أو مثلثات أو دوائر متداخلة، وخاصة في المنابر والمحاريب والأضرحة الخشبية والصناعات اليدوية[1].

وقد بدأ الفن الإسلامي بطابع إسلامي لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، كما أخلص الفنانون في عملهم في مجالات البناء والعمران والزخرفة والكتابة والصناعة من منطلق ما أباحه الإسلام واجتناب ما حرمه الدين الإسلامي الحنيف قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾[2] وقوله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

وفي المخطوطات الإسلامية اهتم النساخ بإضافة رسومات توضيحية للمادة العلمية المكتوبة كالخرائط في مادة الجغرافيا والعمليات الجراحية وطريقة إعداد الأدوية في مخطوطات الطب وقياسات تتعلق بكروية الأرض والأجرام السماوية وأجهزة هذه القياسات في مخطوطات الفلك وأشكال العدسات

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٤٨.
(٢) سورة الأعراف/ الآية ٣٢.

وتجارب مخبرية تتعلق بالفيزياء وغير ذلك من الرسومات الأخرى، وقد اختلفت هذه الرسومات التي رافقت كتابة المخطوطات الإسلامية من عصر إلى عصر، ومن بيئة عن أخرى في أطراف البلاد الإسلامية، فقد التزم الفنانون المسلمون في العصور الأولى بعدم التصوير والنحت للأشكال الآدمية والحيوانية؛ لأن الإسلام حارب التصوير وعبادة الأوثان خوفاً من عودة الوثنية إلى الناس أو أن تكون تقليداً لصفة الخالق، إلاَّ أن هذا الالتزام لم يستمر في العصور الإسلامية المتأخرة خاصة عند الفاطميين والأيوبيين والمماليك والدول التي ظهرت في بلاد فارس عندما ظهرت مدارس فنية مغولية وسلجوقية وفارسية صفوية[1].

فن التذهيب في الكتابة عند المسلمين:

استخدم الفنانون ماء الذهب في تزيين المصاحف بزخارف جمالية وملونة بألوان مختلفة، وخاصة الصفحات الأولى والأخيرة، وفي مفاتح السور وآخر كل آية بوضع علامة مميزة من ماء الذهب، ثم امتد التذهيب ليشمل المخطوطات الإسلامية في الفواصل والنقاط ومطالع الفُصول وخواتمها وآخر المخطوط والصفحات الأولى والأخيرة من باب الاهتمام بالمخطوطات لتقديمها هدايا إلى الخلفاء والخاصة من الأمراء والقادة[2]. وكان الفنانون يجعلون بعض الرسومات النباتية أو الهندسية على جوانب بعض الصفحات من ماء الذهب وبألوان مختلفة، وقد ازدهر هذا النمط الفني عند العثمانيين في قصور الخلفاء[3] والإيرانيين في العصر الصفوي في المدرستين الصفوية والتيمورية[4].

(١) حسن الباشا، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ٩٢ وما بعدها.
زكي محمد حسن. فنون الإسلام/ ١٦٣ وما بعدها.
محمود عباس حمودة، تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط/ ١٢٧ وما بعدها.
(٢) محمود عباس حمودة. تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط/ ٢١٣ وما بعدها.
(٣) المصدر نفسه/ ٢١٤.
(٤) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ١٥٧ وما بعدها.

التجليـــد:

اعتنى المسلمون بتجليد المصاحف والمخطوطات الإسلامية للمحافظة على نظافتها وسلامة أوراقها وخاصة الصفحات الأولى والأخيرة خوفاً عليها من الضياع، كما ابتكر المجلدون طريقة عملية للمحافظة على أطراف المصاحف أو المخطوطات بوضع لسان يطوى من الأمام ليحفظ واجهة المخطوط الأمامية، أو لوضع هذا اللسان في المكان الذي وصل إليه القارئ في المصحف الشريف، وكان التجليد في بدايته لوحين من الخشب مثبتين من الخلف، ثم تطور إلى استخدام الجلد والورق، واستخدموا التلزيق بالغراء لتثبيته، كما استخدموا الدهان لزخرفة التجليد بألوان مختلفة وأشكال متعدده، وكانت في العصور الإسلامية الأولى أشكالاً نباتية وهندسية، ثم تطورت إلى الأشكال الحيوانية والآدمية وطيور محببة[1].

وقد انتقلت فنون التجليد من بلاد المسلمين إلى الأوربيين وكانوا لا يعرفونه قبل ذلك[2].

وبالإضافة إلى تجليد المخطوطات الإسلامية فقد ازدهرت صناعة الحقائب والأحزمة والمفارش والجعاب والتروس والعلب والأغطية وركائب الجمال والخيول والأربطة وكسوة الحوائط والصناديق.

---

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٢٩ وما بعدها.
محمود عباس حمودة، تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط/ ٢٠٧ وما بعدها.
(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام ٢٢٩.

الصناعات المختلفة عند العرب قبل الإسلام

اقتصرت الصناعات عند العرب قبل الإسلام على صناعات بدائية بما يتناسب مع حياة العرب مثل غزل شعر الأغنام لصناعة الخيام والثياب للرجال والنساء والحبال لربط الخيام في أوتادها والقرب لنقل الماء من جلود الحيوانات أو لاستخدامها في الكتابة، ولم يكن للعرب سفن بحرية، وقد سمح الخليفة عثمان ابن عفان لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية سمح لمعاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على بلاد الشام وعبدالله بن سعد بن أبي سرح والي مصر سمح لهما ببناء السفن البحرية؛ فأصبح للمسلمين على ساحل مصر وساحل بلاد الشام أسطولين بحريين ينافسان الأسطول البحري البيزنطي الذي كان سيد الموقف في البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم سابقاً).

ثم تطور الأسطول البحري الإسلامي حتى أصبح مسيطراً على جميع السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط، ثم تطورت صناعات أخرى كثيرة في الدولة الإسلامية مثل: صناعة المنسوجات وصناعة الورق والأسلحة وصناعة الخزف والصناعات الخشبية والعاج والعظم وغير ذلك من الصناعات الأخرى.

الفن الإسلامي في صناعة النسيج:

ومنها صناعة الملابس والسجاد للصلاة وللبيوت وكسوة الكعبة وملابس شخصية ورسمية للرجال والنساء، ومنها الخلع التي كان يرسلها القادة والخلفاء هدايا متبادلة، وهي عبارة عن عمامة وقميص وسراويل ونعال.

وقد تحاشى الصناع صناعة المنسوجات الحريرية للرجال في فجر الإسلام أو زخرفتها برسومات مختلفة من الطيور أو الحيوانات أو الأشكال الآدمية أو الكتابة

عليها بكتابات مختلفة، إلا أن ذلك تغير في العصور الإسلامية المتأخرة، فخرج الصناع عن المألوف بعد دخول الأعاجم في الإسلام وانتشار الترف عند الحكام، حيث لبس حكام الفاطميين ملابس الحرير مكتوباً عليها عبارات بخط كوفي بأدعية خاصة لهم وتواريخ ومكان صناعة هذه المنسوجات من الملابس، وحول هذه الكتابات أشكال نباتية وهندسية وزخارف أخرى ورسومات لحيوانات أو طيور[1]، وقد اشتهرت بعض البلدان الإسلامية في صناعة الأقمشة فنسبت إليها مثل: القماش الموصليني نسبة إلى الموصل، والدمشقي نسبة إلى دمشق، قريدين نسبة إلى غرناطة.

الصناعات النسيجية في مصر:

ازدهرت هذه الصناعات بمصر منذ فجر الإسلام بسبب توفر المادة الخام فيها كالقطن والحرير والكتان وكانت هذه الصناعات تحت إشراف الحكومة وخاصة في الدلتا والإسكندرية ودمياط، تنيس، البهنسا، الفيوم، وقد اعتنى حكام الفاطميين بصناعة النسيج وكان يشرف على هذه الصناعات موظفون حكوميون يطلق على الواحد منهم صاحب الطراز، وكانت هناك مصانع خاصة للطبقة الحاكمة عند الفاطميين يصنعون لهم الجلاليب والعمائم والأحزمة والأقمصة وعليها رسومات مختلفة وكتابات بأحرف عربية بخط كوفي ورسومات لطيور متدابرة أو متقابلة[2]، كما ازدهرت الصناعات الفاطمية في المنسوجات بصقلية عندما كانت تتبع الفاطميين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، بما يشبه الصناعات الفاطمية المصرية، وقد استمرت هذه الصناعات

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٣٤٥- وما بعدها.
(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٣٥٣.

بطرزها الإسلامية في عهد النورمانديين الذين استولوا على صقلية بعد الحكم الإسلامي، بسبب قيمتها العالية[1]، ثم توالت صناعات الحرير والكتان في العصر الأيوبي والمملوكي وخاصة صناعة الملابس والكتابة عليها بعبارات أدعية لسلاطين الأيوبيين والمماليك مثل: «العز الدائم»، «سعادة مؤبدة ونعمة مخلدة» إضافة إلى زخارف نباتية وحيوانية وأشكال هندسية من مثلثات ودوائر وطيور متقابلة أو متدابرة[2]، وهما الطريقة والأسلوب نفساهما الذي انتقل إلى الأندلس بطرز مختلفة من الأشكال النباتية والطيور وكتابة الأدعية للحكام والأمراء بخط كوفي[3].

أما المنسوجات في المشرق الإسلامي وخاصة في العصر العباسي الثاني فقد سادت عليها كتابات بخط كوفي وصور الفيلة والطيور وزخارف نباتية[4]، وقد ازدهرت هذه الطرز عند المغول والسلاجقة في خراسان ونواحيها، وكثر استخدام الألوان المختلفة، الأصفر والأزرق والأخضر والأرجواني مع مناظر طبيعية وحيوانات خرافية وصيد حيوانات، ومن أشهر المدن في الصناعات النسيجية، الري، أصفهان، نيسابور، مرو، قزوين، شيراز والموصل وبغداد[5]، وقد استخدم السلاجقة والمغول ماء الذهب في كتابات الخط الكوفي على الملابس على شكل أشرطه متوازية أفقية.

وفي العصر العثماني استقدم العثمانيون صناع المنسوجات الإسلامية من الشرق الإسلامي إلى إستانبول وأنقرة، فغلبت الطرز التي كانت سائدة في

---

(١) المصدر نفسه ص٣٦٢.

(٢) انظر الأشكال. زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٣٦٦- وما بعدها.

(٣) انظر الأشكال. زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ص٣٩٠-٣٩١.

(٤) انظر الشكل ٣٠١. زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٣٦٩.

(٥) انظر الأشكال، زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ص٣٧٧ وما بعدها.

العصر العباسي الثاني عند السلاجقة والفرس والمغول في استخدام الزخارف النباتية والرسومات المختلفة للطبيعة بما فيها من أشجار وسحب وحيوانات خرافية وألوان مختلفة ناصعة وقوية مثل: الأرجواني والأحمر والأخضر وكتابات كوفية بماء الفضة والذهب[1].

وفي مجال صناعة السجاد بنوعية سجاد الصلاة وسجاد المنازل، فقد تعددت أشكاله وأنواعه وزخارفه المختلفة وألوانه، وأنواع الخيوط المستخدمة فيه كالصوف والحرير والقطن والكتان وخيوط الذهب والفضة أحياناً، وكلما زادت عقد السجاد زاد ثمنه وجودته، وتتضمن السجاجيد المنزلية كتابات بالخط الكوفي وأشكال نباتية وحيوانية وهندسية وأحياناً آدمية ما خلا سجاجيد الصلاة، فإنها تقتصر على مناظر جمالية هندسية ومساجد بمآذنها المختلفة وأشهر السجاد الإسلامي بما فيه من زخارف جمالية السجاد الفارسي والتركي بسبب توفر المواد الخام في هذه البلاد من الحرير والكتان والصوف[2].

السجاد الإيراني الإسلامي: وخاصة سجاد الصوف لكثرته في بلاد فارس وخراسان، ويمتاز السجاد الإيراني بنقوشه المتعددة الألوان وبمتانة خيوطه وما فيه من زخارف وأشكال نباتية وحيوانية دقيقة، وأشجار تحتها حيوانات مفترسة وحيوانات خرافية، وأشهر البلدان التي توجد فيها مصانع السجاد الإيراني: أصفهان، تبريز، كرمان، هراة، شيراز، يزد[3].

السجاد التركي: وهو من أجود أنواع السجاد الإسلامي بسبب جودة الصوف لتوفر المراعي وكثرة المياه لغسل الصوف وصباغته، ويتميز السجاد التركي

(١) انظر الأشكال. زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ص٣٩٣-٣٩٥.
(٢) حسن الباشا. دراسات في الحضارة الإسلامية/ ١٩٠- وما بعدها.
(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٣٩٨-٤١٠.

برسوماته وأشكاله الهندسية وتناسق الألوان بمهارة الذوق التركي ورسومات الطيور والحيوانات، وأشهر السجاد التركي سجاد أزمير وقونية.

السجاد الأندلسي: ويغلب عليه النمط الشرقي في الرسومات والأشكال وتوزيع الألوان، وقد رحل كثير من صناع السجاد من القاهرة ودمشق وبغداد وبلاد فارس إلى الأندلس، وأشهر بلدانها في صناعة السجاد مالقة، غرناطة، مرسية، وكانت هذه البلدان تصدر مصنوعاتها إلى بلاد الغرب[1].

السجاد الهندي الإسلامي: وخاصة الطرز المغولية والسلجوقية والفارسية بسبب هجرة صناع السجاد إلى الهند بعد الفتوحات الإسلامية على يد سلاطين الغزنويين والسلاجقة والمغول، ويغلب على طرز صناعة السجاد الهندي الإسلامي الطرز السلجوقية والمغوليه ذات الزخارف النباتية والحيوانية والطيور والألوان المختلفة الجميلة لأغصان الأشجار وتحتها حيوانات مختلفة[2].

(١) عبدالعزيز سالم. في تاريخ وحضارة المسلمين بالأندلس/ ٢٧٥.
(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٤١.

صناعة الخزف والفخار الإسلامي

وهي من الصناعات التي توفرت كثيراً في البلاد الإسلامية منذ فجر الإسلام حسب ما كشفت عنه الحفائر المختلفة بأشكال متنوعة، وبألوان وزخارف وكتابات مختلفة وخاصة الخط الكوفي[1].

وتتم صناعة الفخار من الطين المحروق بطريقة أسهل من الخزف وأقل نقاءً منه في صناعة الأباريق وجرار الماء والأزيار بأحجام وأشكال متنوعة، وأما الخزف فتمر صناعته بمراحل أكثر من صناعة الأواني الفخارية، حيث إن الخزف يعجن بطريقة معينه ثم يحرق في الأفران، ثم يطلى بطلاء لماع، ثم يعاد حرقه بالنار ويطلى بطلاء لماع مرة أخرى، ثم يعطى إلى الرسام ليرسم عليه الأشكال المختلفة من طيور أو أزهار أو حيوانات متقابلة أو متدابرة، أو أشكال آدمية وهندسية، ثم يحرق على درجة حرارة منخفضة فينتقل إلى الخطاط ليكتب عليه كتابات بالخط الكوفي، ثم يُعطى إلى المذهِّب الذي يقوم بتذهيبه أو تلوينه بألوان مختلفة جمالية مثل: اللون الأزرق أو الأحمر أو البنفسجي والفضي والبني والأصفر الناصع والأخضر الفيروزي وألوان أخرى جميلة[2].

وأكثر الأدوات التي قام الفنانون بزخرفتها وصناعتها هي الأواني المنزلية مثل: الأكواب والسلطانيات والأباريق والفناجين والصحون والأزيار والعلب والمباخر.

ومن البلدان التي اشتهرت بصناعة الخزف ذي الألوان الجميله وما عليها من كتابات متعددة إيران والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، وقد تنوعت الصناعات الخزفية باختلاف البلدان التي صنعتها وهي نوعان:

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٦٢ وما بعدها.

١- **الخزف ذو البريق المعدني** وعليه كتابات بالخط الكوفي ورسومات نباتية أو هندسية بعيداً عن الأشكال الحيوانية والآدمية وخال من ماء الذهب، ويمثل هذا النوع من الصناعات الخزفية الصناعات الأولى في القرن الأول الهجري لالتزام الصناع والفنانين بتعاليم الإسلام في البعد عما حرّمه الدين من استخدام الذهب والبعد عن التشكيل لكل ماله روح.

٢- **الخزف المرقش**: الملون بألوان جذابة ومتنوعة غائراً أو مخرماً بطلاءات مميزة، وعلى جوانب الأواني رسومات طيور متدابرة أو متقابلة أو حيوانات أو رسومات آدمية بتوقيعات تمثل عصورها مثل: العصر الفاطمي أو السلجوقي أو المغولي أو الصفوي[١]، وتحمل هذه الأنواع كتابات أدعية للسلاطين الذين تقدم لهم هذه الخزفيات كهدايا، وقد بذل الصناع في صناعة هذا النوع جهوداً كبيرة لإتقانه بذوق سليم ودقة في الرسم واختيار الألوان المناسبة بشفافية عالية[٢].

وتوجد أنواع مختلفة من الخزف الإسلامي بجميع عصوره في عدد من المتاحف العالمية والإسلامية مثل: متحف نيويورك ومتحف فكتوريا وألبرت والمترو بوليتان في نويورك، واللوفر بباريس ومتحف الآثار العربية بالقاهرة[٣].

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٧٢ وما بعدها.
(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٢٩٨.
(٣) المصدر نفسه/ ٢٩٨ وما بعدها.

الصناعات الخشبية الإسلامية

ارتبطت الصناعات الخشبية بزخارف جمالية هندسية ونباتية وحيوانية على الأبواب والنوافذ (المشربيات) والمنابر والمحاريب والأضرحة والكراسي والسقوف وحوامل المصاحف، كما ارتبطت الصناعات الخشبية وزخارفها الفنية بوفرة الأخشاب المناسبة في بلدان دون بلدان أخرى.

وقد بدأت فنون الزخرفة على هذه الصناعات الخشبية في العصر الأموي، ثم تطورت في العصر العباسي عند الفاطميين والأيوبيين والمماليك[1] والصفويين بفارس، والمغول والسلاجقة، وقد حملت أبواب القصور والمساجد زخارف نباتية وأشجاراً وخاصة أشجار العنب وعليها عناقيد العنب، وأشكالاً هندسية دوائر ومربعات متداخلة مع بعضها، وقد تكون هذه الأشكال الهندسية حشوات من العاج أو العظم، وتوجد بعض القطع من هذه الأبواب بمتحف المتروبوليتان في نيويورك، ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتحف بناكي بأثينا[2].

وقد وجد الفنانون في منابر المساجد مجالاً لإظهار مواهبهم الفنية في تخريم الأخشاب على جانبي المنابر وواجهاتها في أشكال هندسية متشابكة، والكتابة عليها بأحرف كوفية تزيد فنون الزخارف جمالاً وبهاءً، ومن هذه المنابر منبر المسجد الأقصى الذي صنع بحلب بأمر من نور الدين محمود زنكي وأرسل إلى بيت المقدس بعد ذلك[3]، ومنبر مسجد عقبة بن نافع في القيروان، ويعتقد أنه صنع في القرن الثالث الهجري، وهو عبارة عن مشابك خشبية متصلة ببعضها البعض

(١) حسن الباشا. دراسات في الحضارة الإسلامية/ ١٨٤- وما بعدها.

(٢) حسن الباشا. دراسات في الحضارة الإسلامية ١٨٤.
انظر: زكي محمد حسن. فنون الإسلام/ ٤٤٢- وما بعدها.

(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٦٣-٤٦٤.

وكأنها فروع من شجر العنب، بالإضافة إلى أشكال هندسية متداخلة ببعضها البعض، ومنبر الجامع الأزهر في القاهرة، ومنبر مسجد إبراهيم الخليل بمدينة الخليل الذي صنع باسم الحاكم الفاطمي المستنصر بالله ووزيره بدر الدين الجمالي سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، ومنبر سلجوقي في مسجد قونية من عهد السلطان علاء الدين السلجوقي (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) مليء بالزخارف النباتية والهندسية وعلى جانبيه أطباق نجمية وكتابات بخط النسخ والخط الكوفي[١]، ومنابر مساجد أخرى من العصر السلجوقي والمغولي بأصفهان، ومنابر أخرى في المغرب والأندلس من عصر الأمويين والمرابطين[٢].

ويوجد زخارف فنية وكتابات بالخط الكوفي على التوابيت والأضرحة بمصر ومنها: تابوت الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)[٣] وتابوت لأم الكامل الأيوبي عليه كتابات باسمها، وكتابات تتعلق بوفاتها[٤]، وتوجد قطع خشبية من العصرين الفاطمي والمملوكي بمتحف دار الآثار العربية بالقاهرة مزخرفة بطيور وأشكال نباتية وحيوانات وأشكال آدمية وكتابات بالخط الكوفي وأشكال هندسية[٥]، وقطع أخرى لسقوف مساجد وقصور ومدارس للدول التي قامت في العصر العباسي الثاني مزخرفة بمقرنصات ونجوم سداسية وأشكال هندسية على شكل خلايا نحل وفسيفساء مزين بألوان مختلفة جذابة، ويوجد بمتحف دار الآثار العربية بالقاهرة صناديق خشبية وكراس وقطع نوافذ (مشربيات) محفورة ومزخرفة بزخارف مختلفة[٦].

---

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٤٣.

(٢) عبدالعزيز سالم. في تاريخ وحضارة المسلمين بالأندلس/ ٢٦٠.

(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٦٢ـ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه/ ٤٦٤.

(٥) زكي محمد حسن، فنون الإسلام ٤٦٤/ -وما بعدها.

(٦) المصدر نفسه ٤٧٢- وما بعدها.

الفنون الإسلامية في العاج والعظم

الصناعات اليدوية التي استخدمت من العاج والعظم أدوات مختلفة مثل: الصناديق والعلب أو تطعيم الكراسي والأبواب بقطع من العاج والعظم على سبيل الزينة والزخرفة بأشكال مختلفة منذ فجر الإسلام[1].

وكانت الصناديق والعلب العاجية تصنع خصيصاً لتقديمها هدايا إلى زوجات الخلفاء والأمراء لحفظ الملابس وأدوات الزينة[2].

وتوجد هذه الأدوات التي تمثل عصور الدولة الإسلامية المختلفة الأموي في الأندلس أو الفاطمي والأيوبي والمملوكي بمصر، توجد في متاحف مختلفة من متاحف دولية مثل: متحف المتروبوليتان بنيويورك وأخرى بمتحف دار الآثار العربية في القاهرة. ومتحف اللوفر بباريس، ومتحف برلين بألمانيا، ومتحف الآثار بمدريد، وقد كتب عليها عبارات أدعية أو عبارات هدايا بخط كوفي، كما هو مكتوب على صندوق يوجد بمتحف المترو بوليتان: «بركة من الله للإمام عبدالله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أم عبدالرحمن على يدي دري الصغير سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة»[3]. وأخرى موجودة بمتحف اللوفر بباريس كتب عليها: «بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيرة بن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلاث مائة»[4]. وأخرى بمتحف

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٩٣ وما بعدها.
(٢) عبدالعزيز سالم. في تاريخ وحضارة المسلمين بالأندلس/ ٢٦٧ وما بعدها.
(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٩٥.
(٤) المصدر نفسه/ ٤٩٦.

الآثار بمدريد كتبت سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م: «بسم الله، بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لأحب ولادة محظية الخليفة الحاكم الثاني واسمها صبح، وكانت قد أقرت عينه بولادة الأمير الذي ولي الملك بعد ذلك باسم هشام الثاني»[١].

ويلاحظ على هذه العلب أنها مزخرفة بكتابات بخط كوفي وأشكال نباتية وآدمية وحيوانية وطيور متقابلة أو متدابرة، ويوجد على بعضها حيوانات فيلة وزرافات وأسود وفهود وغزلان[٢].

الفنون الإسلامية في الزجاج والبلور

عثر علماء الآثار على أدوات زجاجية وبلورية في نواح مختلفة من العراق وفارس وخراسان وشمال بلاد الشام وجنوبها والأندلس ومصر، وتمثل هذه الصناعات عصور الإسلام المختلفة منذ العصر الأموي وما يليه من العصور، مما يدل على رواج تجارته في الدولة الإسلامية، ويتم تصنيع الزجاج بخلط الجير الحجري مع أوكسيد السيليكون وصهره بالأفران وإخراجه ونفخه في قالبين من الفخار أو المعدن، الواحد بعد الآخر لتصبح أواني مختلفة مثل الأكواب والأباريق[٣].

وقد نقشت هذه الأواني الزجاجيه بأيدٍ فنية بنقوش جمالية مختلفة هندسية أو أشكال حيوانية كالغزلان والأرانب والكلاب ونباتات ذات أغصان رقيقة[٤].

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٤٩٦.
(٢) المصدر نفسه/ ٤٩٤-٤٩٦.
(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٨٢- وما بعدها.
(٤) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٨٦ وما بعدها.

وكانت هذه الأدوات تقدم هدايا إلى الأمراء والقادة والخلفاء بعد طلائها ببريق معدني أو بماء الذهب في أشكال جمالية وكتابات حولها بالخط الكوفي كأدعية وما شابه ذلك وخاصة في عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك بمصر والأمويين في الأندلس، ومن هذه الكتابات «بركة من الله للإمام العزيز بالله»«لله الدين كله، الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين»[1].

وقد ضرب الله الأمثال للناس في الزينة الجمالية المباحة كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

ويوجد أدوات زجاجية وبلوريه إسلامية في عدد من المتاحف العالمية مثل: متحف الآثار في برلين، ومتحف الآثار بالقاهرة، ومتحف فكتوريا وإلبرت بأمريكا[3].

الفنون الإسلامية في الحفر على الحجر والجص

لم يزدهر هذا الفن في فجر الإسلام لبساطة الحياة وبعدها عن الغلو في البنيان وزخارفه وانشغال الناس في دينهم وفتوحاتهم، ولكن هذا الفن بدأ يزدهر منذ العصر الأموي مع انتشار البناء والعمران في ميادينه المختلفة، سواء كانت دينية أم مدنية أم حربية، واستخدم الفنانون أذواقهم الفنية في الحفر على الحجر والجص في

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٩٤.
(٢) سورة النور/ الآية٣٥.
(٣) انظر الأشكال: زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٦٠٣-وما بعدها.

الأعمدة وتيجانها، وعلى السقوف وأطراف النوافذ والأبواب والواجهات والأقواس والقباب والمآذن، وحملت أشكالاً متعددة من المقرنصات والأشكال النباتية والهندسية وكتابات بأحرف عربية كوفية ووريقات بأغصانها الرقيقة بأشكال جميلة تسر الناظرين، ومن هذه الأماكن التي حملت مثل هذه الأشكال أعمدة المساجد في الأندلس ومصر وبلاد الشام والعراق وفارس[1] وقصور الأمويين في بلاد الشام والأندلس، وعمائر السلاجقة والمغول في بلاد فارس وخراسان والعراق، وعلى المدارس والأسبلة والأضرحة والقباب من عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك بمصر.

الفنون الإسلامية على الصناعات المعدنية

تعددت الصناعات المعدنية عند المسلمين مثل: الأباريق والسيوف والمباخر وصفائح حديدية على الأبواب والدروع والرماح والمغافر والزرد والخناجر والتروس والشمعدانات والقدور[2]، وأقيمت لهذه الصناعات أسواق خاصة في المدن الإسلامية الكبرى مثل: القاهرة ودمشق والموصل والقيروان، وسميت بأسمائها كسوق الحدادين وسوق النحاسين، كما ضرب المسلمون نقودهم من الذهب والفضة، وحملت زخارف وأسماء وآيات قرآنية كريمة، وتواريخ هجرية.

وقد عثر علماء الآثار على عدد كبير من هذه العملات القديمة والأدوات المعدنية الأخرى في بلدان مختلفة تدل على روعة الفن الإسلامي منذ فجر الإسلام، ومن هذه الأدوات ما هو موجود الآن بمتحف برلين بألمانيا، ومتحف دار

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٦٢٠- وما بعدها.

(٢) حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية/ ١٨٠.
عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة المسلمين بالأندلس/ ٢٦٧.

الآثار العربية بالقاهرة حيث يوجد به إبريق من البرونز صنع في عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٤٩م) له مقبض وصنوبر ممتد، وعليه رسومات حيوانية وهندسية ونباتية، كما يوجد أدوات مختلفة في متاحف إيطاليا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وفلورنسا[١].

وتوجد بهذه المتاحف صناعات من العصر السلجوقي ذهبية وفضية وبرونزية عليها رسومات آدمية وحيوانية وطيور وفروع أشجار وأشكال هندسية، ومن أشهر المدن التي اشتهرت بهذه الصناعات: نيسابور وسجستان وهراة والموصل[٢].

كما ازدهرت هذه الصناعات في العصرين الأيوبي والمملوكي، كتب عليها عبارات أدعية مثل: «عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن الملك العزيز غازي نقش حسين بن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستمائة»[٣].

وقد عثر علماء الآثار على أدوات مملوكية موجودة بدار الآثار العربية بالقاهرة كتب عليها «عز لمولانا السلطان ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون»[٤].

وعثر على صناعات مغولية عليها رسومات بألوان جميلة مختلفة وعليها أوراق أشجار وعليها عبارات (لا إله إلا الله) وآيات قرآنية أخرى[٥].

---

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٠٩.
(٢) المصدر نفسه/ ٥٢٨.
(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٥٠.
(٤) نفس المصدر/ ٥٥٥.
(٥) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٥٦٠.

الفسيفساء

وهي قطع صغيرة من الحجارة البلورية الملساء الملونة على شكل مربعات صغيرة بحجم ٢×٢سم تقريباً، تثبت بجانب بعضها البعض على السقوف أو الأعمدة أو الواجهات الأمامية للمساجد أو القصور في الداخل أوالخارج، أو في الساحات أمام المساجد أوالقصور، وتشكل هذه القطع مناظر جميلة أو آيات قرآنية أو عبارات أخرى أو مناظر طبيعية أو أشجار مثل: أشجار النخيل، كما هوالحال في قصور الأمويين في الأندلس، وقبة مسجد الصخرة المشرفة وجوانبه، وسقف المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق[1].

مميزات الفن الإسلامي:

يمتاز الفن الإسلامي بأنه مزيج من فنون لشعوب متعددة دخلت الإسلام فأقامت حضارة إسلامية بفنونها بما يتناسب مع متطلبات الدولة الإسلامية برؤية إسلامية جديدة بعيدة عن طبائع الديانات الأخرى التي كانت سائدة قبل انتشار الإسلام، وخاصة بما يتعلق في أماكن العبادة.

كما غلب على طرز الفن الإسلامي كثرة الألوان والميل إلى الأشكال النباتية والمناظر الطبيعية والأشكال الهندسية، واستخدام الخط العربي وخاصة الخط الكوفي وسيلة إبداعية فنية لملاءمة استخدامه بجميع أنواع الفنون الإسلامية سواء كانت المباني العمرانية أوالصناعات المختلفة.

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام/ ٦٤٧ وما بعدها.

وجاءت الفنون الإسلامية مناسبة للذوق والأخلاق الإسلامية ومتطلبات الحياة اليومية للمسلمين في شكل المآذن والقباب والأعمدة والأبواب والمنابر والمحاريب وكتابة المخطوطات وأشكال الصناعات اليدوية وما تحمله من طرز مختلفة، وإظهار المواهب الفنية العالية فيها.

كما أظهرت الفنون الإسلامية قدرة العرب على هضم واستيعاب فنون الحضارات الأخرى بسرعة في جميع المجالات وتسخيرها لصالح المجتمع الإسلامي، كما اهتم المسلمون باستخدام الأعمدة بكثرة في المساجد والقصور حتى بدت كأنها غابة من الأشجار.

ويلاحظ على المسلمين في اتجاهاتهم الفنية أنهم لم يركزوا على نواح معينة، بل إن الفن الإسلامي شمل كل ما طالته أيديهم طالما أنه يخدم المسلمين في حياتهم من بناء المدن بأسوارها وأحيائها، والمساجد بعناصرها المعمارية المختلفة والمخطوطات بما تحمله من عناصر جمالية بعلومها المختلفة، العقلية منها والنقلية، وقصورها الفخمة التي تدل على عظمة الدولة الإسلامية بعصورها المختلفة ومدارسها الفنية المتعددة، كالفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية والمغربية والأندلسية والسلجوقية والمغولية والفارسية، وهي أوسع مظاهر الحضارة انتشاراً في العالم لاتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ويميز هذه الحضارة عن غيرها الجودة والإتقان؛ لأن الإسلام يعد الإتقان عبادة ومسؤولية أمام الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عَنْهُ مَسئُولاً﴾[1]

(١) سورة الإسراء/ الآية٣٦.

معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب

قامت الحضارة الإسلامية أساساً في بلاد العرب، ففي المدينة المنورة عاصمة المسلمين الأولى نشأت الدولة الإسلامية وترعرعت وقويت، ثم توسعت إلى خارج الجزيرة العربية، فتطلبت الظروف أن يتخذ الأمويون من دمشق عاصمة لهم بدلاً من المدينة، ثم أصبحت بغداد بعد ذلك عاصمة العباسيين، وظهرت مدن أخرى عواصم لدويلات إسلامية في الدولة العباسية، وقد نمت وترعرعت مع الدولة الإسلامية حضارتها، التي لم يكن لها مثيل في ذلك الوقت حيث غطت هذه الحضارة على جميع الحضارات الأخرى المعاصرة لها، واكتسبت ما يمكن اكتسابه من الحضارات السابقة، وألغت جميع الخرافات والأباطيل التي انتشرت بين الشعوب التي دخلت الإسلام، وصححت نظريات فاسدة، فقامت في المجتمع الإسلامي حضارة قوية في جميع مجالات العلوم والفنون والنظم.

ولم يقتصر الانتفاع من هذه الحضارة على المسلمين فقط، بل تجاوزهم إلى الشعوب الأخرى حين انتقلت هذه الحضارة إليهم عبر طرق ومعابر سنتطرق إليها بالتوضيح فيما يلي:

أولاً: الأندلس:

وهي المحطة الأخيرة التي توقف فيها الفتح الإسلامي جهة الغرب بعد شمال إفريقية حين عبرت جيوش المسلمين إليها من المغرب إلى شماله عن طريق المضيق الذي كان يعرف قديماً بمضيق هرقل والذي عرف بعد الفتح الإسلامي باسم مضيق جبل طارق نسبةً إلى طارق بن زياد الذي عبر بنفسه إلى البلاد التي عرفت بعد الفتح الإسلامي بالأندلس.

وهي التي كانت تعرف قبل ذلك ببلاد القوط نسبة إلى سكانها، أو شبه الجزيرة الإيبيريه؛ لأنها محاطة بالبحر الأبيض المتوسط من ناحية الشرق، وبالمضيق من ناحية الجنوب والمحيط الأطلسي من ناحية الغرب، أو ما كان يطلق عليها بلاد الوندال (الفندال) أو فنداليسيا، وقد توقف الفتح الإسلامي في النصف الجنوبي من هذه البلاد، وبقي قسمها الشمالي دولة نصرانية مجاورة للدولة الإسلامية الأندلسية، ومن أهم مدنها: غرناطة، قرطبة، إشبيلية، ألمرية، بطليوس.

وفي بادئ الأمر قامت في الأندلس إمارة إسلامية تتبع الدولة الأموية التي اتخذت من دمشق عاصمة لها، ثم انفصلت الأندلس عن الدولة العباسية سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق، وتحولت الإمارة الأموية في الأندلس إلى خلافة أموية سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، ثم ضعفت هذه الخلافة وتحولت إلى دويلات منفصلة بعضها عن البعض الآخر فيما يعرف بدول الطوائف، ثم سقطت آخر هذه الدول بأيدي النصارى الواحدة تلو الأخرى سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م.

وفي الأندلس اختلط العرب الفاتحون بأهل الأندلس الذين دخل أكثرهم الإسلام وتفاعلوا معاً في مجتمع واحد، وانتقلت مع العرب إلى الأندلس حضارتهم التي أقاموها في المشرق الإسلامي.

وانتشرت العلوم الإسلامية بأنواعها، كما انتشر العمران بأنواعه الحربي والديني والمدني، وتطورت أساليب الزراعة وأنواع المزروعات والأشجار التي قدمت من المشرق مثل: التين والزيتون والرمان والنخيل والعنب وظهرت الجامعات، واختلط فيها طلاب الغرب مع طلاب أهل المشرق حين قدم طلاب أوربا إلى الأندلس لقربها من بلادهم، وقد انبهرت أوربا بالحضارة الإسلامية التي

جاورتهم في الأندلس وخاصة في حواضرها وأهمها قرطبة عاصمة الأمويين التي كان يسكنها مليونا نسمة تضيء شوارعها بمصابيح طوال الليل، في حين كانت أوربا يعمها الظلام الدامس[1].

كما رأى أهل أوربا علوم المسلمين، ورأوا صناعة الورق وأساليب الكتابة وطرق التجليد، وصناعة المنسوجات والسجاد، وأساليب البناء بما فيه من فنون وزخارف مختلفة[2].

ثم قامت علاقات تجارية وفكرية، وتبودلت السفارات والوفود بين المسلمين في الأندلس ودول أوربا الغربية، وقامت علاقات صداقة بين الطرفين كان المستفيد من هذه العلاقات الأوروبيين الذين كانوا يفتقرون إلى الحضارة التي كانت موجودة عند المسلمين في الأندلس[3].

ثانياً: صـــقلية:

وهي جزيرة في وسط البحر الأبيض المتوسط تتبع إيطاليا حالياً، وتواجه تونس وليبيا من دول المغرب العربي في شمال إفريقية، وقد دخل المسلمون إلى هذه الجزيرة فاتحين سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م على يد أحد قادة دولة الأغالبة[4] في إفريقية ويدعى أسد بن الفرات، وقد استشهد هذا القائد الفاتح على شواطئ هذه الجزيرة وأكمل الفتح بعده نائبة محمد بن أبي الجواري، وأصبحت صقلية تتبع الدولة الأغلبية.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ٢٣٣.
عاشور، المدنية الإسلامية/ ٥٠-٥١.

(٢) المقدسي. المصدر السابق نفسه/ ٢٠٢.
جمال الدين الشيال. التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي/ ٢٨ وما بعدها.

(٣) السيد عبدالعزيز سالم. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس/ ٣٤٣ وما بعدها.

(٤) مؤسس هذه الدولة إبراهيم بن الأغلب في العصر العباسي الأول، فنسبت دولته إليه.

ثم قامت الدولة الفاطمية في إفريقية على يد مؤسسها عبيد الله المهدي وزالت الدولة الأغلبية وأصبحت صقلية تابعة للدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م.

وفي ظل الحكم الإسلامي بصقلية نشأت وترعرعت الحضارة الإسلامية فيها بجميع أنواعها العمرانية والنظم والفنون والزراعة والصناعة.

ففي المجال العمراني استخدم الفنانون المسلمون القباب والأقواس والزخارف والأبراج على الأسوار والقلاع، واستخدموا الخط العربي كفن حول المساجد والقصور والبيمارستانات، وظهرت القناطر فوق الأنهار وترع المياه، وتطورت وسائل الري والزراعة[١].

وفي مجال العلم والفكر امتلأت مكتبات صقلية بالمخطوطات الإسلامية المكتوبة باللغة العربية بعدما انتشرت اللغة العربية فيها، وترك أهلها لغتهم الأصلية، وهناك الكثير من الكلمات العربية التي دخلت اللاتينية في استخدام العلوم والصناعات المختلفة عن طريق صقلية[٢].

كما شهدت صقلية أشكالاً مختلفة في البناء الإسلامي بما عليه من زخارف وفنون مختلفة من الخط العربي، وانتشرت فيها أنواع جديدة من المزروعات والأشجار المثمرة انتقلت مع الفاتحين إليها مثل: القطن وقصب السكر، ومارافق هذه المزروعات من إصلاحات في وسائل الري[٣]، كما انتشرت بصقلية الصناعات الإسلامية مثل: صناعة الحرير والمنسوجات وصك العملات والفضة

(١) حسان حلاق. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٣٤ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه/ ٣٥٨.
(٣) عاشور. المدنية الإسلامية/ ٥٣.

والنحاس والحديد والكبريت، وقد انتقلت هذه الصناعات من صقلية إلى جميع أنحاء أوربا[1].

ثالثاً: الحروب الصليبية:

شهد أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حروباً شنتها دول أوربا الغربية على بلاد الشام ومصر، أوربا نفسها أطلقت على هذه الحروب، الحروب الصليبية من باب التعصب الديني ضد المسلمين، وهذه الدول التي واصلت إرسال هذه الحملات وإمدادها بالدعم المتواصل هي: إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والدولة الرومانية.

وقد استطاعت الحملات الصليبية أن تؤسس إمارات صليبية في كل من الرها وأنطاكيا وطرابلس الشام وعكا وحيفا وبيت المقدس وبلدان أخرى في بلاد الشام.

وقد قاومت الدول الإسلامية التي كانت قائمة في مصر وبلاد الشام هذه الحملات الصليبية باستمرار على يد قادة وحكام هذه الدول، وهي الدولة النورية في حلب ودمشق (نسبة إلى نور الدين محمود زنكي) والدولة الأيوبية بمصر وبلاد الشام (نسبة إلى مؤسسها صلاح الدين الأيوبي) والدولة المملوكية (نسبة إلى حكام هذه الدولة من المماليك في مصر وبلاد الشام بعد زوال الدولة الأيوبية). واستطاع المماليك في نهاية المطاف من تطهير بلاد الشام من الوجود الصليبي تماماً، في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

---

(١) المصدر نفسه/ ٥٣.

ومن خلال الحملات الصليبية التي قدمت من أوربا الغربية إلى بلاد الشام ومصر وممالكها التي أقامتها في هذه البلاد تعرف الصليبيون على حضارة المسلمين في المجالات المختلفة، فنقلوا ما شاهدوه إلى بلادهم من معارف وعلوم مختلفة، ودخلت كثير من كلمات اللغة العربية إلى الاستعمال عندهم وخاصة ما يتعلق بالنظم والنقود والتجارة والصناعة والزراعة والطب والصيدلة والجغرافيا والرياضيات والفلك[1].

ورأى الصليبيون مدى تطور علوم الطب والصيدلة في بلاد المسلمين، وهي ما لم تكن موجودة في بلادهم، إذ تطور علم الطب والصيدلة عند المسلمين بالاعتماد على التجربة، بينما كانت علومهم تعتمد على الخرافات والتعاويذ السحرية، في حين كانت الكنيسة عندهم تحرم الاعتماد على العلاج الذي يصفه الأطباء[2].

كما شاهدوا في بلاد المسلمين العادات والتقاليد في المأكل والمشرب، وحاربوا المسلمين بنفس أسلحتهم واستعملوا الحصون والأسوار والقلاع، ثم عاد الصليبيون إلى بلادهم بهذه العادات والتقاليد وما تعلموه وشاهدوه في بلاد المسلمين[3]، كما اصطحبوا معهم كثيراً من أنواع الأشجار والنباتات مثل: البطيخ والثوم والسمسم والأرز والليمون والقطن والتين والزيتون والخوخ والذرة والعدس والفول والرمان والتفاح والدراق واللوز والتوت والمشمش[4].

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ٢١١ وما بعدها.
انظر: محمود سعيد عمران. العلاقات بين الشرق والغرب/ ٢٥٠ وما بعدها.

(٢) أسامة بن منقذ كتاب الاعتبار/ ١٣٢ - وما بعدها.
زيغريد هونكة. شمس العرب تسطع على الغرب.

(٣) زكريا هاشم. فضل الحضارة/ ٧٥٣.
عاشور. المدنية الإسلامية/ ٥٧.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية/ ١٥٠ وما بعدها.
عاشور، المدنية الإسلامية/ ٥٨.

كما حصل تزاوج بين النصارى والمسلمين في بلاد الشام، مما ساعد على تقليد النصارى لعادات المسلمين بعد عودتهم إلى أوربا[1].

كما تعرف الصليبيون على الصناعات التي عاينوها في بلاد الشام، فنقلوا هذه الصناعات إلى بلادهم مثل: صناعة الأصباغ والسجاجيد والحلي والمنسوجات والعقاقير والصابون والفخار وطرق استخراج السكر والزيت، وازدهرت تجارة هذه الصناعات العربية بعد ذلك في أوربا[2].

وقد صاحب الحروب الصليبية عدد من المؤرخين الفرنج مثل: وليم الصوري، فوشيه، وكتبوا عن هذه الحروب وعما شاهدوه من آثار وحضارة ببلاد المسلمين، كما ظهر عدد من المؤرخين المسلمين عاصروا الحروب الصليبية، وكتبوا بدورهم عن مواجهة هذه الحروب وآثارها.

ومن هؤلاء المؤرخين ابن الأثير، ابن شداد، ابن واصل، ابن الفرات، ابن عساكر، أسامة بن منقذ، المقريزي، ابن جبير[3].

كما شاهد الصليبيون في بلاد الشام أساليب بناء المدن والأسوار والقصور والمساجد والحصون والقلاع والشوارع والأحياء بما في هذه الأبنية من زخارف ومقرنصات ونحت وحفر على الخشب ومنابر ومحاريب وقباب ومآذن وأبراج

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ٣٩٠-
أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار/ ١٣٥.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ٢٠٠ وما بعدها.
زكي النقاش. العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية/ ١٧٠-

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ٢١١ وما بعدها.
انظر: ابن منقذ، كتاب الاعتبار.
وانظر: محمود عمران. العلاقات بين الشرق والغرب/ ٢٥٠ وما بعدها.

ورباطات وعقود وأسواق وأقواس بأنواعها وأعمدة رخامية بما فيها من زخارف يلفها جمال الخط العربي الكوفي وشرفات وفسيفساء[1].

رابعاً: الترجمة:

وهناك نوعان من الترجمة للعلوم والمعارف، أولهما: ترجمة العلوم القديمة التي وجدها المسلمون عند الأمم المختلفة في القرنين الأول والثاني الهجريين، فترجمها المسلمون إلى اللغة العربية، وثانيهما: الترجمة العكسية، بترجمة العلوم الإسلامية إلى اللغات الأوربية المختلفة بعد ازدهارها وتطورها، فملأت البيوت والمكتبات والمساجد والمدارس والجامعات الإسلامية، وهذان النوعان من الترجمة ما سوف أسلط الأضواء عليهما فيما يأتي:

أولاً: الترجمة الأولى في فجر الإسلام:

ظهر الاهتمام باللغات الأخرى غير اللغة العربية عند المسلمين منذ فجر الإسلام، فقد سمح الرسول ﷺ للصحابيين زيد بن ثابت الأنصاري وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن يتعلما لغات أخرى، وفي بداية العصر الأموي تفرغ خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان للعلوم العقلية وترجمة علوم الأمم السابقة إلى اللغة العربية، واستعان بالمترجمين من حوله لهذا الغرض مثل: ماريوحنا الدمشقي (سوري آرامي)[2].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم/ ١٥٦-
ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ١٨٢-
ابن حوقل، صورة الأرض/ ١٦٠-
زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب.

(٢) ابن النديم، الفهرست/ ٢٤، ٣٥٤.
زكريا هاشم، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم/ ٢٨٠.
سعيد عاشور، المدنية الإسلامية/ ١٧.
كرد علي، الإسلام والحضارة العربية ج١/ ١٦٥.

كما استدعى خالد بن يزيد المتعلمين من الإغريق والعرب في الإسكندرية وعهد إليهم بترجمة الكتب المصرية واليونانية القديمة إلى اللغة العربية، وتعد هذه الترجمة هي بدايات الترجمة للعلوم القديمة إلى اللغة العربية.

وبعدما قام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) بالتعريب والترجمة لكل ما دوِّن في الدولة الإسلامية بغير اللغة العربية، ازدهرت اللغة العربية وأصبحت اللغة الرسمية لشعوب الدولة الإسلامية، وارتفعت قيمتها العلمية، وانكب أهل الذمة على تعلمها ليواصلوا مهنة الكتابة في الدولة الإسلامية، واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالترجمة فأمر بترجمة كتاب الطب لأهرن بن أعين نقله إلى العربية ماسرجوية[1]، ولكن ترجمة العلوم القديمة إلى اللغة العربية توسعت كثيراً وعلى نطاق واسع في الدولة العباسية وهو العصر الذهبي في الترجمة والتأليف، فقد راسل الخليفة أبو جعفر المنصور ملوك الروم وطلب ما عندهم من كتب قديمة لترجمتها إلى العربية، فأرسلوا له كتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات[2].

وقد لجأ أبو جعفر المنصور إلى العارفين باللغات القديمة من الكلدان والسريان والنصارى والرهبان ممن يجيدون تلك اللغات إلى جانب اللغة العربية لترجمة العلوم القديمة إلى اللغة العربية، فكانت ترجمتهم أحياناً حرفية وأحياناً أخرى غير

(١) ابن النديم، الفهرست/ ٢٩٧.
القفطي، تاريخ الحكماء/ ٣٢٤.
ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج٢/ ١٠٤.
الخربوطلي، الحضارة العربية/ ٣٨٥.
كرد علي، الإسلام والحضارة العربية ج١/ ١٧٢.
(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول/ ١٣٦.
عاشور، المدنية الإسلامية/ ٢٩.

حرفية؛ مما سبب ضياع كثير من المصطلحات أو إبقائها كما هي بلغتها القديمة بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

وفي خلافة أبي جعفر المنصور ترجم عبدالله بن المقفع الفارسي كتاب كليلة ودمنة، وهو كتاب هندي أصلاً جلبه إلى بلاد فارس الحكيم الفارسي برزويه وترجمه من الهندية إلى الفارسية[١].

كما أمر الخليفة المنصور محمد بن إبراهيم الفزاري فترجم كتاب السندهند في الفلك، وترجم كتب الفلسفة لبطليموس وإقليدس والمجسطي[٢].

وكان المنصور يحب العلم والعلماء، فقرب إليه أشهر المترجمين في عصره، ومنهم أبو يحيى البطريق وابنه يحيى، والحجاج بن يوسف بن مطر وعبدالله بن المقفع وجورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع[٣]، وكان هؤلاء بمثابة حلقة الوصل التي انتقلت بواسطتها حضارة اليونان والهنود والفرس إلى العرب[٤].

ومن أهم العلوم التي قاموا بترجمتها، السياسة لأرسطو طاليس[٥] والطب لأبوقراط وجالينوس[٦] والهندسة لأقليدس[٧] وكتب أخرى يونانية وسريانية[٨].

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج١/ ٣٤١، ج٢/ ٣٧.
ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٢/ ١٥٢.
(٢) القفطي، تاريخ الحكماء/ ٢٧٠.
(٣) المسعودي، مروج الذهب ج٤/ ٢٤١ وما بعدها.
السيوطي، تاريخ الخلفاء/ ١٠١ وما بعدها.
(٤) ابن النديم، الفهرست/ ٢٤٣.
القفطي، تاريخ الحكماء/ ٢٢٠.
(٥) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء/ ٦٧.
ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج٢/ ١٧٤.
(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج٢/ ١٧٤.
(٧) الفهرس، لابن النديم/ ٦٥.
(٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء ج٢/ ١٧١.

وتقدمت عجلة الترجمة في خلافة هارون الرشيد بسبب صناعة الورق وتوفيره للمترجمين والمؤلفين، وازدهرت مكتبة بيت الحكمة ببغداد في عهده، كما أن هارون الرشيد أغدق كثيراً على المترجمين، وأرسل رسله إلى بلاد الروم لشراء ما عندهم من كتب قديمة، كما تعمد غزو بلاد أخرى للحصول منها على ما فيها من مؤلفات علمية، وخصص لها المترجمين لترجمتها إلى اللغة العربية[1]، يضاف إلى ذلك رغبة المسلمين في البحث والترجمة، يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون «إن حماسة المسلمين في دراسة المدنية اليونانية واللاتينية مدهشة جداً»[2].

ومن أشهر المترجمين في خلافة هارون الرشيد أسرة البرامكة الذين أنفقوا على الترجمة كثيراً، ويوحنا بن ماسويه، وآل بختيشوع الطبيب والحجاج بن مطر وحنين بن اسحاق[3].

وفي خلافة المأمون بن هارون الرشيد واصل الاهتمام بالترجمة وتوافد العلماء والأدباء على عاصمته، واستقدم المترجمين إليه وأغدق عليهم أموالاً هائلة، وأمر عماله في الولايات الإسلامية أن يمدوه بالمترجمين وبالكتب النادرة، وراسل الملوك والحكام ليحصل على ما عندهم من العلوم، وأثمرت هذه النهضة في عهده، فأقيمت المراصد والمكتبات، وترجمت المؤلفات من سائر أنحاء العلوم، فازدهرت مكتبة بيت الحكمة ببغداد في عهده أكثر مما كانت عليه سابقاً في نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية[4]، وقد افتتح المأمون أكاديمية علمية

(١) حاجي خليفة. كشف الظنون ج٢/ ١٥٠٨.
ابن النديم، الفهرست/ ٢٧٦، ٣٥٣-٣٥٤.
عز الدين فراج فضل علماء المسلمين/ ١٢٠.
(٢) عبدالرحمن حنبكة، الحضارة الإسلامية/ ١٢٧.
(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء ج٢/ ١٢٤، ٤٣.
(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج٢/ ٣٧-.

خاصة بالترجمة، وخص أبناء موسى بن شاكر (محمد، أحمد، الحسن) بالترجمة وجمع الكتب ومسؤولية إحضار المترجمين إليها، وكان يحيى بن ماسويه مشرفاً على هذه الأكاديمية[1].

كما كان المأمون مهتماً بالفلسفة ذا ميول اعتزالية يحب البحث والدرس والمناظرة والجدل العلمي، فتطورت العلوم في عهده كثيراً[2].

ومن أشهر المترجمين في خلافة المأمون: الحجاج بن يوسف بن مطر، والفضل بن نوبخت أبو سهل الفارسي، وثابت بن قرة، وحنين بن إسحاق وابنه إسحاق، ماسرجيس، وابنه عيسى، يحيى البطريق، محمد بن موسى المنجم، علي ابن يحيى المنجم[3].

ومما ساعد على ازدهار الترجمة إلى اللغة العربية ما يلي:

١- حافظ العرب على المدارس العقلية التي وجدوها خارج الجزيرة العربية واستفادوا من أساتذتها وما فيها من ذخائر العلوم مثل: مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكيا ومدرسة جند يسابور ومدرسة الرها ومدرسة نصيبين.

٢- اهتم العرب بحفظ الحضارات القديمة وتطويرها في ظل الدولة، الإسلامية، ولولا هذا العمل في ترجمة هذه العلوم بالرعاية الإسلامية لما وصلت إلى ما وصلت إليه وانتقالها بعد ذلك إلى المجتماعات الأوربية.

وقد رغب العرب في الاطلاع على العلوم والثقافات القديمة من باب العلم بالشيء حين رأوا أن دينهم الإسلامي الحنيف يحض على طلب العلم.

(١) هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب/ ٢٨٠-.
(٢) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية/ ١٧٨.
(٣) سعيد عاشور، المدنية الإسلامية/ ٣٠.

٣- قام العرب تحت إشرافهم بتشكيل هذه العلوم القديمة بتشكيلة وصياغة جديدتين؛ فأهملوا ما فيها من خرافات وأباطيل، وصححوا نظرياتها الخاطئة بعد إخضاعها إلى البراهين والتجارب والبحث العلمي، ولم تكن الترجمة حرفية لمجرد النقل، بل صاحبها التصويب والتصحيح؛ ولهذا فإن العرب أصبحوا وسطاء بين ماضي الفكر القديم الذي كان سائداً قبل الإسلام وبين الفكر الحديث الذي انتقل إلى الشعوب الأخرى بعد الإسلام، يقول جوستان لوبون: «والحق أن تأثيرهم (العرب) في أوربا من الناحية الحضارية عظيم جداً، وإن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وإننا لم نطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب، وإن جامعاتنا لم تستغن عن تدريس ما نقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب إلا في الأزمنة الحاضرة.»[١].

٤- رعاية الخلفاء العباسيين للترجمة وخاصة المنصور والرشيد والمأمون، فقد هيؤوا الجو المناسب للترجمة، وافتتحوا المكتبات لهذا الغرض، واستقدموا المترجمين من كل مكان، وأنفقوا عليهم بدرجة عالية لتأمين راحتهم، وقد رعى هؤلاء الخلفاء بعض الأسر للترجمة، ومن هذه الأسر أسرة آل بختيشوع، أسرة البرامكة، وأغدقوا عليهم الأموال لهذا الغرض[٢].

٥- ظهور عدد كبير من المترجمين الذين يعرفون لغات الأمم الماضية، وهؤلاء المترجمون من جنسيات وأديان مختلفة، وأتى معظمهم إلى بغداد حين رأوا اهتمام الخلفاء العباسيين بالترجمة والإنفاق عليها بسخاء كبير[٣].

---

(١) كرد علي. الإسلام والحضارة العربية ج١/ ١٧٤ وما بعدها.
انظر: لوبون، حضارة العرب.
(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام ج١/ ٣٨٠.
((٣) ريتشارد فالتزر، الفلسفة الإسلامية ومركزها في التفكير الإنساني/ ٢٣-٤٠.

٦- الحركة الشعوبية وهي حركة عنصرية ظهرت في المجتمع الفارسي في العصر العباسي، حيث أخذ الفرس على عاتقهم ترجمة ثقافاتهم وعلومهم إلى اللغة العربية لإظهار مآثر أسلافهم وأمجادهم، والباعث على ذلك هو منافسة العرب حين رأوا مجدهم يتعاظم ويرتفع في ظل الإسلام[١].

وقد توسعت نظرة الشعوبية للتقليل من شأن العرب وأن الفرس أقدر منهم في الحروب والآداب والعلوم؛ مما جعل العرب يتصدون لهم بأقلامهم لرد أباطيلهم وإطفاء حقدهم وكشف مؤامراتهم ودسائسهم[٢].

٧- ظهور صناعة الورق، مما سهل عملية الترجمة وخاصة بعد خلافة هارون الرشيد، حيث تعلم العرب صناعة الورق عن الفرس عندما رأوا هذه الصناعة بسمرقند، فانتشرت الترجمة والتأليف تبعاً لذلك.

٨- تشجيع الإسلام للعلم، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحض على طلب العلم، كما حث الرسول ﷺ على ذلك أيضاً، مما جعل المسلمين يتسابقون في طلب العلم والمعرفة طالما أنه يخدم دينهم الإسلامي الحنيف، فامتلأت المكتبات بالكتب النادرة وتباهى الناس في اقتنائها.

٩- قدرة اللغة العربية على استيعاب اللغات الأخرى بما فيها من علوم مختلفة.

١٠- ظهور بعض الفرق الإسلامية ذات الاتجاهات المختلفة، فشجعت على الترجمة لتحصل كل فرقة منها على مبتغاها من أفكار فلسفية أو دينية.

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ج٣/ ١٨٢.
عمر فروخ، تاريخ العلوم/ ١٣٠.

(٢) زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول/ ٩.

ثانياً: الترجمة العكسية وهي ترجمة العلوم الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، وهذا النوع من الترجمة هو الذي يعد أحد معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب بعد أن نضجت العلوم الإسلامية وملأت البيوت والمكتبات في البلاد الإسلامية، وبعد ذلك لم يعد أمام الأوربيين شرقاً وغرباً إلا أن يلتفتوا إلى ما بأيدي المسلمين ليترجموها إلى لغاتهم، فشهدت الدول الإسلامية المجاورة لأوربا وأهمها الأندلس وصقلية، باعتبارهما همزة الوصل بين العرب وأوربا، شهدتا أعظم حركة نقل إلى اللاتينية، تناولت مختلف أنواع المعرفة وبخاصة علوم الطب والفلك والجغرافيا والصيدلة والرياضيات والكيمياء والفيزياء، ومما ساعد على ترجمة العلوم الإسلامية إلى الغرب، التسامح الذي أظهره العرب مع غيرهم من تلاميذ الغرب فقد قال أحد الكتاب الأوربين: «إن الحضارة الإسلامية تمت -في بلادهم- بسبب تسامحها إزاء العناصر الأجنبية»[1].

ومن أهم مدن الأندلس التي شهدت هذه الترجمة مدينة قرطبة وطليطلة وإشبيلية، وقد قدر الغرب العلوم الإسلامية حق قدرها فاستفادوا منها[2].

ومن أشهر المترجمين الأوربيين الذين قاموا بنقل التراث الإسلامي إلى بلادهم الرهبان أنفسهم، ومنهم جيرارد الكريموني الإيطالي، واسمه سلفستر الثاني (١١١٤-١١٨٧م) الذي أرسله فردريك الثاني حاكم صقلية إلى الأندلس لترجمة العلوم، فأقام في طليطلة عشرين سنة يترجم ما كتبه العرب،

وقد ترجم أكثر من ثمانين مخطوطة، ورجع إلى بلاده كريمونا فمات فيها سنة ١١٨٧م بعد أن

(١) سعيد عاشور، المدنية الإسلامية/ ٦٦.

(٢) جمال الدين الشيال، التاريخ الإسلامي وأثره./ ٢٢.

ترجم كتاب الخوارزمي في الحساب ورسائل الفلك للفرغاني وغيرها من الكتب الأخرى[1].

ومن المترجمين أيضاً في الأندلس هرمان الألماني وحنا الإشبيلي وبطرس الفونس الإسباني وريموند الطليطلي وأديلارد الإنجليزي في القرنين الخامس والسادس الهجريين[2].

وقد أدرك ريموند الطليطلي الذي كان أسقفاً لطليطلة (ت٥٤٦هـ/ ١١٥١م) أدرك قيمة العلوم الإسلامية، فشجع الباحثين الأوربيين على ترجمتها، فقدم المترجمون الأوربيون إلى طليطلة لهذا الغرض، كما اهتم الفونسو العاشر ملك قشتاله المعروف بالحكيم (٦٥٠-٦٨٣هـ/ ١٢٥٢-١٢٨٤م) بترجمة العلوم الإسلامية، فأغدق على المترجمين من العربية إلى اللاتينية، ومن الكتب المترجمة في عهده: كتاب رباعيات عمر الخيام حيث ترجمت إلى اللغات الأوربية بملايين النسخ، فأحدثت ترجمته ثورة أدبية في أوربا مما جعل الأوربيين يلتفتون إلى الأدب العربي الإسلامي، ليغترفوا منه في تطوير آدابهم وثقافاتهم، وتوجه محبو الأدب في أوربا بأنفسهم إلى بلاد المسلمين ليتعلموا ويترجموا ما عند المسلمين، وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد المستشرقون[3].

وفي صقلية التي حكمها المسلمون ما يقرب من قرنين من الزمان ترك المسلمون فيها حضارة متنوعة في البناء والزراعة والعلوم والنظم، وعندما استولى

(١) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة/ ٢٧١-
هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب/ ٣٠٣.
(٢) سعيد عاشور، المدنية الإسلامية/ ٦٤.
٣١) زكريا هاشم، فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم/ ٥٩٠- وما بعدها.
مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٨٤.

النورمان على صقلية وأخرجوا المسلمين منها بقيادة أحد ملوك النورمان ويدعى روجر الأول احترم ملك النورمان التقاليد والثقافات الإسلامية فتركها على ما هي عليه للاستفادة منها[1].

واستمرت العملة الإسلامية على حالها في عهده، ثم صك العملة على أحد وجهيها باللغة العربية والوجه الآخر باللاتينية واليونانية، وهكذا قلده حكام النورمان بعد ذلك، فتركوا الأمور على حالها وخاصة في صناعة المنسوجات بما عليها من كتابات بالخط الكوفي[2].

وفي عهد ابنه روجر الثاني استدعى الشريف الإدريسي الأندلسي أبا عبدالله محمد (٤٩٣-٥٤٨هـ/ ١١٠٠ -١١٥٤م) وكلفه بكتابة كتاب في علوم الجغرافيا، فألف له الكتاب المعروف نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (الكتاب الروجري)، وضمنه جغرافية العالم البرية والبحرية والمناخ والبحار والخلجان والنباتات والعادات والتقاليد واللغات، وقد انتهى الإدريسي من كتابة هذا الكتاب في بالرمو بصقلية سنة ٥٤٨هـ/ ١١٤٥م بعد إعداد له استمر خمسة عشر عاماً، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية بعد ذلك.

ثم تولى حكم صقلية بعد روجر الثاني ابنه وليم الأول الذي سار على سياسة والده في تسامحه مع حضارة المسلمين والاستفادة منها، ثم تولى العرش في صقلية بعد وفاة وليم الأول الإمبراطور الألماني هنري السادس (١١٩٤-١١٩٧م) باعتباره زوجاً لابنة الملك روجر الثاني، فتغير الحال على المسلمين وساءت معاملة

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد/ ١٤٠.
أحمد مختار العبادي، العلاقات بين الشرق والغرب/ ٧٥. حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٣٤.
(٢) سعيد عاشور، المدنية الإسلامية/ ٥٥.

النصارى لهم في صقلية[١] ، واستمر الحال على ذلك حتى مجيء فردريك الثاني إلى حكم صقلية، فاهتم بتراث المسلمين وأمر بمواصلة ترجمة العلوم الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، ثم تراسل فردريك الثاني مع الملك الأيوبي الكامل ابن السلطان العادل الأيوبي، وطلب منه أن يمده بالمخطوطات الإسلامية، فأمده بها، واستمرت هذه العلاقات الطيبة بين فردريك الثاني والملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، وتبادل معه الهدايا والسفارات العلمية[٢]، ثم استمرت هذه العلاقات مع المماليك بعد ذلك[٣]، وقد دخلت الكثير من مفردات اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية من خلال هذه الترجمة للعلوم الإسلامية بصقلية[٤].

وقد وصف ابن جبير ما رآه من الحضارة الإسلامية بصقلية عندما زارها قائلاً: إنها أعظم حضارة على الإطلاق[٥].

كما وصفها بنفس الوصف ابن حوقل في كتابه صورة الأرض[٦]، وإضافة إلى هذه المعابر التي مر ذكرها والتي ساهمت بانتقال الحضارة الإسلامية إلى الغرب هناك وسائل أخرى ساهمت في نقل حضارة المسلمين إلى هناك مثل: مشاهدات الأوربيين لهذه الحضارة أثناء قدومهم لزيارة بيت المقدس، ومن خلال التجار الذين تنقلوا بين بلاد المسلمين والغرب حاملين معهم التحف والهدايا والصناعات المتوفرة لدى المسلمين، ومن خلال المستشرقين الذين طافوا البلاد الإسلامية لأغراض تخدم مصالحهم، ومن خلال اختلاط نصارى الغرب للمسلمين في فترة الحروب الصليبية التي تقدم ذكرها سابقاً.

---

(١) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية/ ٨٥.

(٢) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٣٤.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج٤/ ٢٤٨.

(٤) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٥٨.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير المعروف بتذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار/ ٢٢٥-٢٦٢.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض/ ١١٣.

أثر الحضارة الإسلامية على بلاد الغرب:

بعدما جاء المسلمون فاتحين إلى الأندلس دخل أهلها في الإسلام وتعلموا اللغة العربية، فازدهر الشعر والشعراء في الأندلس، ومن هؤلاء الشعراء ابن عبدربه الأندلسي أحمد بن محمد بن عبدربه الأموي بالولاء (ت٣٤٩هـ/ ٩٦٠م)، نشأ بقرطبة تعلم وتلقى الأدب فيها، كان واسع الاطلاع في العلوم المختلفة، وأكثر شعره في الوصف والغزل، وهو من السابقين في كتابة الموشحات، وأشهر كتبه العقد الفريد في الأدب[١].

ومن شعراء الأندلس أيضاً ابن زيدون أحمد بن عبدالله (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، ولد بقرطبة سنة (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م)، وكان أبوه فقيهاً فدرس على يديه وعلى غيره الفقه والأدب، وزر لأبي الحزم بن جهور وسجنه ثم شفع له وأخلى سبيله[٢].

ومن شعراء الأندلس أحمد بن حمديس الصقلي عبدالجبار بن حمديس (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م)، ولد بصقلية وهاجر منها إلى الأندلس بعد احتلال النورمان لها، ونشأ بإشبيلية شاعراً وأديباً، ومنهم لسان الدين بن الخطيب، ذو الوزارتين أبو عبدالله (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) ولد بغرناطة وتلقى فيها علوم الأدب والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ[٣].

وفي مجال الآداب والعلوم الإسلامية قلد أدباء الغرب أدباء المسلمين بعدما امتزجت اللغة العربية بلغة أهل الأندلس، وانتشر الزجل الشعبي (بالعامية)

---

١) الزيات، تاريخ الأدب العربي/ ٣٢١.
(٢) المصدر نفسه/ ٣٢٩.
(٣) الزيات، تاريخ الأدب العربي/ ٣٣٥.

والموشحات (بالفصحى)، وهي التي يطلق عليها العرب طرب دور، نسبة إلى المطربين الذين يتجولون في الأسواق والبيوت للتكسب بالشعر، فانتقلت هذه المهنة إلى الأوربيين وبقي اللفظ المستعمل لها في العربية Trobador في اللغة اللاتينية.

ويعد وليم التاسع أمير أكوتين أول شعراء التروبا دور، حيث استعمل الألفاظ العربية في موشحاته مثل: سيدي، مولاي[1].

وقد أحب الأوربيون اللغة العربية ومزجوها بلغتهم، حتى إن البعض منهم كانوا يطلقون على أنفسهم موز آراب (نصف عرب)[2]، فظهر عندهم شعر التنازع في المساجلات والمناظرات الشعرية المعروفة عند العرب، وأطلقوا عليها Tenso بمعنى التنازع، وظهر عندهم الشعر البروفانسي (نسبة إلى إحدى لغات شبة الجزيرة الإيبيرية) وهو ذو خاصية عربية في الالتزام بالقافية[3]، يقول خوليان ريبيرا أحد أدباء الغرب: «... حين كانت العربية في وطننا لغة الثقافة ولغة الحياة...»[4] ويقول في مكان آخر «إن شعراء أوربا مدينون للإسلام في الإلهام والمادة معاً، وإن الأوربيين لم يجدوا في آدابهم ما يشفي غليلهم فاتجهوا صوب الأدب العربي»، ويقول جب: «إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوربا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها»[5].

ويقول دانتي: «لذلك يسمى كل ما نظمه أجدادنا من أشعار بلغة البلاد بالشعر الصقلي»[6].

---

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام ج٣/ ٣٠٨.
أحمد الطاهر مكي، التروبادور، مجلة آفاق عربية / ٧٤.
(٢) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٢٢.
(٣) جب، تراث الإسلام/ ١٨٩-١٩٠.
عاشور، المدنية الإسلامية/ ٧١.
(٤) محمد القاضي، الاستعراب الإسباني، مجلة التاريخ العربي/ ١٩٢.
(٥) لوبون، حضارة العرب/ ٤٧٣.
(٦) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية/ ٣٥٥ وما بعدها.

أما في مجال النثر العربي كالقصص والحكم والأمثال، فقد تأثر أدباء الغرب بها وخاصة فيما يتعلق بمغامرات الحروب وحب الفروسية، فقد قلد بوكاشيو الكاتب الإيطالي في كتابه الأيام العشرة قصة ألف ليلة وليلة لابن المقفع على طريقته نفسها بسرد القصص بمائة قصة نسبها إلى سبع سيدات وثلاثة رجال[1]. وعلى الطريقة نفسها كتب شوسر كتابه كانتوبوري، كما تأثر دانتي في كتابه الكوميديا الإلهية فوصف الجنة والنار والإسراء والمعراج على غرار رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

كما قام أدباء الغرب بترجمة القصص العربية إلى اللغات الأوربية مثل قصة السندباد وقصة فلوراء والزهرة البيضاء[2].

يقول المستشرق الألماني جورج يعقوب: «إن قصة روبنسون كروزو مأخوذة من قصة حي بن يقظان التي كتبها فيلسوف الأندلس ابن الطفيل محمد بن عبدالملك»، وقد أشاد بها فلاسفة الغرب فقالوا عنها: إنها أقوى ما في الأدب العربي طرافة وأصالة[3]. ويقول المستشرق جب: «لولا قصص ألف ليلة وليلة لعبدالله بن المقفع لما عرف الأوربيون قصة روبنسون كروزو»[4].

وتشبه قصة جيهان دي سانتريه الفرنسية في مضمونها قصة عنترة بن شداد، وهي ملحمة فرنسية كبرى وفاتحة القصص الأوربية الحديثة، كما تسربت قصة عنترة بن شداد إلى إنجلترا على يد كاردون الفرنسي، وترجمت إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٨٢٠م ثم انتشرت في أوربا[5].

(١) زكريا هاشم، فضل الحضارة/ ٥٨٤.
(٢) المصدر نفسه/ ٥٩٩.
(٣) زكريا هاشم، فضل الحضارة/ ٦٠٦.
(٤) جب، تراث الإسلام/ ٢٠٢.
(٥) زكريا هاشم، فضل الحضارة/ ٥٩٩.

كما انتقلت المقامات الإسلامية من الأندلس إلى الغرب، وهي قصص متفرقة، مثل: مقامات الحريري ومقامات بديع الزمان الهمداني[1].

وقد وصف أحد المستعربين الأندلسيين إقبال أدباء الغرب على الأدب العربي وتقليدهم له، قائلاً ونفسه تقطر ألماً: «إن إخوتي في الدين وأبناء رعيتي يتذوقون الأشعار والروايات العربية، ويتعمقون في دراسة الفلاسفة المسلمين، وليت انصرافهم هذا يؤدي إلى مساعدتهم على دحض المذاهب الإسلامية أو الرد عليها، بل على العكس لكي يتمكنوا من هذه اللغة ومن آدابها وليجيدوا استعمالها أحسن فأحسن، أين نجد الآن علمانياً واحداً نصرانياً يقرأ الأناجيل أو حياة القديسين وأعمال الرسل والأنبياء؟ آه ويالالأسف إن الشباب المسيحي الذي تميز بذكائه وعبقريته لا يجد اللذة والمتعة الروحية إلا في قراءة الكتب العربية وآدابها، وينفقون الأموال الطائلة على شراء هذه الكتب وتشكيل مكتبات ضخمة، وينادون على رؤوس الأشهاد أن لا آداب توازي الآداب العربية»[2].

أما الأمثال العربية، فهي كثيرة جداً التي انتقلت إلى اللغات الأوربية كما يقول لوبون[3]، هذا بالإضافة إلى دخول الكثير من مفردات اللغة العربية إلى الآداب الأوربية، يقول الفاور وهو أحد كتّاب القرن التاسع عشر الميلادي: «وا أسفاه إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً ولا لغةً غير الأدب العربي واللغة العربية، إنهم ليلتهمون كتب الأدب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ويبالغون في الثناء على نفائس الكتب العربية في حين

(١) جب، تراث الإسلام/ ١٨٨.
(٢) محمد القاضي، الاستعراب الإسباني والتراث الأندلس من خلال ثلاثة نماذج، مجلة التاريخ العربي/ ١٨٨.
(٣) لوبون، حضارة العرب/ ٤٥١.

يأنفون من الرجوع إلى الكتب المسيحية بدعوى أنها لا تستحق الالتفات، إن المسيحيين نسوا لغتهم فلا تجد منهم اليوم واحداً في كل ألف يكتب بها خطاباً لصديق، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب، وقد ينظمون بها شعراً يفوق ما ينظمه العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء»[1].

وقد أشاد بروكلمان باللغة العربية واستخدامها في الجامعات الأوربية ثقافةً وتدريساً وتبني أساتذة الجامعات الأوربية لتدريسها مثل: فليشر بجامعة ليبزغ بألمانيا[2].

ثم جاء تلامذتهم فنشروا الثقافة العربية في أوربا مثل: نولدكة، براون نيكلسون، توماس أرنولد، جولدزهر، فلهوزن[3].

يقول خوان أندريس، أحد الرهبان الإسبان في كتاب ألفه سنة ١٧٩٨م عن أصول الأدب الغربي، إنه كان بفضل ما تلقاه الغرب عن العرب عن طريق الأندلس وصقلية الإسلامية[4].

أما عن العلوم العربية الإسلامية الأخرى مثل: الرياضيات، فقد استفادت أوربا منها بعد ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغات الأوربية[5]، ففي مجال الحساب كان الأوربيون يستخدمون العمليات الحسابية بطرق معقدة قبل اكتشاف

---

(١) عاشور، المدنية الإسلامية/ ٨٤.

(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية.

(٣) زكريا هاشم، فضل الحضارة/ ٣٥٥.

(٤) محمد القاضي، الإستعراب الإسباني والتراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي/ ١٩٠.

(٥) جمال الدين الشيال، التاريخ الإسلامي وأثرة في الفكر التاريخي الأوربي/ ٢٢-٢٣.
حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة/ ٢٧١.
عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة/ ٧٣.

الصفر الذي أخذوه عن العرب[1] ، وقد اعترف أحد علماء الغرب بفضل العرب عليهم في علم الرياضيات فقال: «إن العرب قد حققوا بالفعل إنجازات رائعة في ميدان العلوم، فقد علمونا استخدام الأرقام (العربية) رغم أنهم لم يبتكروها، وبهذا باتوا مؤسسي الحساب المستخدم في الحياة اليومية، وقد جعلوا من الجبر علماً دقيقاً وطوروه تطويراً عظيماً، كما وضعوا أسس الهندسة التحليلية، وقد كانوا دون أدنى شك مؤسسي علم المثلثات المستوي والكروي الذي لم يكن معروفاً لدى الإغريق، أما في مجال علم الفلك فكان لهم عدد من الملاحظات»[2].

وتقول زيغريد هونكه: «كان الألمان ينطقون الأعداد ويكتبونها بشكل خاطئ إلى أن تعلموا مطابقة الكتابة مع النطق لهذه الأرقام الحسابية، وقد سهلت طريقة العرب في الحساب العمليات الحسابية في جميع مناحي الحياة، وقد أخذ العرب نظام الحساب عن الهنود، غير أن جميع العمليات الحسابية عقيمة ومعقدة وفي غاية الصعوبة عند الهنود والرومان والإغريق والصينيين والبابليين إلى أن عرف الهنود الصفر ليحل المشكلة العقيمة في عالم الرياضيات، وقد جاء عالم هندي سنة ١٥٦ هـ إلى بغداد يدعى كنكه ومعه كتاب الرياضيات والفلك ومؤلف هذا الكتاب براهما جوبتا، فأمر المنصور (الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين) بترجمته، فترجمه له محمد بن إبراهيم الفزاري فيما يعرف بكتاب السند هند، ثم أضاف إليه محمد بن موسى الخوارزمي إضافات أخرى فانتشر هذا الكتاب في البلاد الإسلامية»[3].

---

(١) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٨٨.

(٢) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٤٦.

(٣) هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب/ ١٦٨.

ولم يتوقف البحث العلمي في الرياضيات إلى هذا الحد، فإن كثيراً من العمليات الحسابية ظلت معقدة بوجود الصفر، فوضع الخوارزمي علماً جديداً يسهل المعضلة الحسابية يدعى علم الجبر، وظل هذا الاسم يطلق بلفظه على هذا العلم حتى وقتنا الحاضر في جميع أنحاء العالم وبجميع لغاته[١]. كما نظم الخوارزمي وضع الصفر بين الأرقام[٢]، ونظم عمليات الضرب والقسمة والجمع والطرح ووضع الأرقام بالتسلسل، الآحاد، العشرات، المئات، الألوف...[٣].

وفي مجال الفيزياء، فإن الغرب استفاد من نظريات ابن الهيثم رائد علم الضوء عند المسلمين في آلة التصوير (الآلة المعتمة)، إذ لا تزال هذه النظرية معروفة عند الأوربيين حتى الآن باسم المسألة الهيثمية، كما أن روجر بيكون استقى علومه في كتابه عن العدسات المعروف باسم (أوبتيكا) استقى ملعوماته عن ابن الهيثم[٤].

كما استفاد الغرب من تفسيرات ابن الهيثم للظواهر الطبيعية، الكسوف والخسوف وسرعة الضوء والصوت ورؤية الأجسام في العين وألوان الطيف والانعكاس وزوايا السقوط وخروج الماء من الأرض في العيون والآبار[٥].

---

(١) محمد القاضي، الاستعراب الإسباني، مجلة التاريخ العربي/ ١٩١
هونكه، شمس العرب/ ٧٥.
(٢) هونكه، المصدر نفسه/ ٧٥.
(٣) هونكه، شمس العرب/ ٧٥.
(٤) محمد القاضي، الاستعراب الإسباني، مجلة التاريخ العربي/ ١٩١-١٩٢.
(٥) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٥٠ وما بعدها.
وول ديو رانت، قصة الحضارة ج٣/ ١٨٦.

وفي مجال التجارة، فقد نقل التجار العرب أنواعاً كثيرة من الشرق إلى الغرب كانوا لا يعرفونها، وهي غير موجودة لديهم مثل: التوابل والبهارات والقرنفل والزنجبيل والكمون والقرفة والبخور واللادن والمر والزعتر، وكان العرب يستخدمون هذه البهارات والحشائش في المستحضرات الطبية، بالإضافة إلى استخدامها في المأكل والمشرب، وهذا ما تعلمه عنهم الغرب[1].

وقد انتشرت العملات الإسلامية في أوربا وعليها كتابات بالخط الكوفي لأسماء عربية وتواريخ هجرية مما يدل على النشاط التجاري الإسلامي الواسع في أوربا[2].

وقد شجع التجار العرب أمثالهم من تجار الغرب للرحلة والتجارة في بلاد المسلمين، فازدهرت موانى جنوة والبندقية في تجارة القطن والزجاج والتوابل من الشرق إلى الغرب[3].

وبهذه الطريقة انتقلت خبرات العرب إلى الغرب في مجال الملاحة فأخذوا عن العرب إبرة البوصلة والخرائط الملاحية البحرية[4].

وقد ظهر في الدولة الإسلامية علماء في علم الجغرافيا، طافوا البلاد وكتبوا موسوعاتهم الجغرافية فترجمها الأوربيون واستفادوا منها ومن هؤلاء الجغرافيين الشريف الإدريسي (٤٩٤-٥٦٢هـ/ ١١٠٠-١١٦٦م) الذي تجول في آسيا وأوربا، فطلبه ملك صقلية روجر الثاني وكلفه بأن يكتب له كتاباً في الجغرافيا

(١) هونكه، شمس العرب/ ٢٢.
(٢) هونكه، شمس العرب/ ٢٢.
(٣) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٣٢.
(٤) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٣٤-٣٥.
هونكه، شمس العرب/ ٤٧.

فكتب له كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) المعروف باسم (الكتاب الروجري)، وقد ضمنه خرائط مهمة عن البلدان والمواقع.

ومن الجغرافيين المسلمين أيضاً أبو القاسم بن حوقل صاحب كتاب (صورة الأرض)، والمسعودي صاحب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) والبيروني صاحب كتاب(الآثار الباقية عن القرون الخالية)، والمقدسي صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، والبكري صاحب كتاب (معجم ما استعجم عن القرى والأمصار والآبار والمياه)، والحموي صاحب كتاب (معجم البلدان) وابن خرداذبة صاحب كتاب (المسالك والممالك) الذي، بين فيه الطرق والمدن وغير هؤلاء الكثير من علماء المسلمين في هذا المجال.

أما من ناحية الزراعة فقد نقل الأوربيون أنواعاً كثيرة من مزروعات العرب إلى بلادهم مثل قصب السكر، والأرز، والبرتقال، والليمون، والباذنجان، والخرشوف، والمشمش، والقطين، والعنب، والزيتون، والتفاح، والكمثرى، والرمان، واللوز، والموز، والنخيل، والزعفران، والكمون، والكزبرة، والحناء، والتوت.

كما استفادوا من العرب في أساليب الري وتخزين المياه، وبقيت الكلمات العربية نفسها في الاستخدام عندهم[1].

وتعلم الأوربيون عن المسلمين اهتمامهم بالنظافة، فإن الأوربيين كانوا لا يغتسلون إلا مرة واحدة في السنة أو مرتين بالماء البارد ولا يغسلون ثيابهم، وعندما رأوا المسلمين يغتسلون باستمرار، ورأوا الحمامات في بلاد المسلمين

(١) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٣٦.
هونكه، شمس العرب/ ٥٢.

وأنهم يغسلون أعضاءهم يومياً عدة مرات (للوضوء) استحسنوا ذلك، وقلدوا المسلمين في النظافة والطهارة[١].

واستفادوا من المسلمين في مجال النظم في الأسواق، والدواوين والجمارك والتخزين والمزاد العلني[٢].

وفي البناء والعمران، فقد رأوا طرق البناء وأساليبه وفنونه وزخارفه وطرزه المتنوعة عند المسلمين، كما رأوا إقامة الترع وبناء الأسواق والأسوار والقلاع فتعلموه عن المسلمين[٣]، فأخذوا طرز البناء المعمارية مثل حذوة الفرس في الأقواس التي تربط الأعمدة ببعضها البعض، وفكرة الزاوية القائمة أو الطرق الملتوية في مداخل الأسوار والقلاع حتى لا يتمكن العدو من الدخول إلى المدن بسهولة، وأخذوا أشكال الرسومات الهندسية والأشكال النباتية على السقوف وفوق الأبواب، كما قلدوا استعمال الحروف الكوفية على الأبنية وفكرة الأبراج فوق الأسوار للمراقبة، وفي طريقة بناء القباب.

وفي مجال الصناعة تعلم الأوربيون عن العرب صناعة المرايا الزجاجية وأساليب التجليد لحفظ الكتب وصناعة الورق والمنسوجات والسجاد وصناعة الأواني المنزلية من الحديد والبرونز والنحاس والمجوهرات[٤]. كما تأثر الغرب

---

(١) هونكه، شمس العرب/ ٥٤.

(٢) هونكه، شمس العرب/ ٥٤.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم/ ١٥٦.
ابن حوقل، صورة الأرض/ ١٦٠.
حسان حلاق، دراسات/ ٣٣٤.

(٤) حبنكة، الحضارة الإسلامية/ ١٦٠.
مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٣٨-٤٠.
هونكة، شمس العرب/ ٤٠-٤٦.

بصناعة العقاقير والسكر والكبريت والفخار والصابون والشعارات للدلالة على القوة، فقد اتخذ القيصر الألماني في القرن الثامن الهجري-الرابع الميلادي، شعار النسر دلالة على قوة الإمبراطورية الألمانية[١].

وأخيراً فهناك الكثير من الكلمات العربية التي لا تزال مستخدمة في اللغات الأوربية؛ مما يدل على تأثير لغة العرب وحضارتهم في الحياة اليومية الأوربية في جميع المجالات، وهذه المفردات كما أوردتها هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب، ووردت في كتب أخرى من الكتب الغربية مثل: الصفر بالفرنسية Chiffere وفي الألمانية Ziffer وفي الإنجليزية Zerro [٢]، Boslah بمعنى بوصلة: Admiral أمير البحر، Cable الحبل، Shallop السلوب[٣]، Albeca البركة، Noria الناعورة، Fanoor التنور، Alcorque الخرق وهي حفرة حول الشجرة بحيث يدور التراب حول الشجرة إلى أعلى ليحتفظ بالماء حولها[٤]، Almonada المنادي في المزاد العلني Almotaceb المحتسب، Almojarife المشرف، Albanil البناء، Alcoba القبه[٥]، Moslin القماش الموصلي، Damascus القماش الدمشقي)، Café مقهى، Jacket جكيت، Sofa صوفة - Tassa الطاسة، Bonnen البن، Karafe المغرفة،

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير/ ٢٠٠ وما بعدها.
زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ١٧٠ وما بعدها.
هونكه، شمس العرب/ ١٧ وما بعدها.
(٢) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٨٨-٨٩.
(٣) المصدر نفسه/ ٣٤-٣٥.
هونكه، شمس العرب/ ٤٧.
(٤) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية/ ٣٦.
(٥) المصدر نفسه/ ٣٨.

Lemonad ليمـوناضـه، Alkohol الكحـول، Bananen بنان الموز، Orange نارنج، Spinat سبانخ، Divan الديوان، Kotton قطن، Chiffan قماش شفاف، Sattan قمـاش ساتان، Atlas قمـاش أطلس، Safran زعفـران، Kormesin قرمزي، Lila ليلكي[1].

(١) هونكه، شمس العرب/ ١٧ وما بعدها.